المحور السادس

قصة موسى والخضر

قال تعالى (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (74) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (76) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (78) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (82)

لقد ذكر النبي هذه القصة في حديث طويل لابد وأن نذكره في هذا المقام ، فعَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ أَنَا فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ بَلَى لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ أَيْ رَبِّ وَمَنْ لِي بِهِ ، –أو قال–أَيْ رَبِّ وَكَيْفَ لِي بِهِ قَالَ تَأْخُذُ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ حَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ وَرُبَّمَا قَالَ فَهُوَ ثَمَّهْ وَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ ثُمَّ انْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا فَرَقَدَ مُوسَى وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فَخَرَجَ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ "فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا" فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْ الْحُوتِ جِرْيَةَ الْمَاءِ فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ فَقَالَ هَكَذَا مِثْلُ الطَّاقِ فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ الْغَدِ "قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا"وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ قَالَ لَهُ فَتَاهُ "أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا" فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا وَلَهُمَا عَجَبًا قَالَ لَهُ مُوسَى "ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا" رَجَعَا يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ فَسَلَّمَ مُوسَى فَرَدَّ عَلَيْهِ فَقَالَ وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ قَالَ أَنَا مُوسَى قَالَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ نَعَمْ أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي " مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا" قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لَا تَعْلَمُهُ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ قَالَ هَلْ أَتَّبِعُ "قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ

بِهِ خُبْرًا إِلَى قَوْلِهِ إِمْرًا " فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ كَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُ بِغَيْرِ نَوْلٍ فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ جَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ قَالَ لَهُ الْخَضِرُ يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنْ الْبَحْرِ إِذْ أَخَذَ الْفَأْسَ فَنَزَعَ لَوْحًا قَالَ فَلَمْ يَفْجَأْ مُوسَى إِلَّا وَقَدْ قَلَعَ لَوْحًا بِالْقَدُّومِ فَقَالَ لَهُ مُوسَى مَا صَنَعْتَ قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا "لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا" فَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ الْبَحْرِ مَرُّوا بِغُلَامٍ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَقَلَعَهُ بِيَدِهِ هَكَذَا وَأَوْمَأَ سُفْيَانُ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ كَأَنَّهُ يَقْطِفُ شَيْئًا فَقَالَ لَهُ مُوسَى "أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ" مَائِلًا أَوْمَأَ بِيَدِهِ هَكَذَا وَأَشَارَ سُفْيَانُ كَأَنَّهُ يَمْسَحُ شَيْئًا إِلَى فَوْقُ فَلَمْ أَسْمَعْ سُفْيَانَ يَذْكُرُ مَائِلًا إِلَّا مَرَّةً قَالَ قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعِمُونَا وَلَمْ يُضَيِّفُونَا عَمَدْتَ إِلَى حَائِطِهِمْ "لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ فَقَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا قَالَ سُفْيَانُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوْ كَانَ صَبَرَ لَقُصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ)[1].

وفي رواية يَقُولُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (بَيْنَمَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام فِي قَوْمِهِ يُذَكِّرُهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ وَأَيَّامُ اللَّهِ نَعْمَاؤُهُ وَبَلَاؤُهُ إِذْ قَالَ مَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ رَجُلًا خَيْرًا وَأَعْلَمَ مِنِّي قَالَ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنِّي أَعْلَمُ بِالْخَيْرِ مِنْهُ أَوْ عِنْدَ مَنْ هُوَ إِنَّ فِي الْأَرْضِ رَجُلًا هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ يَا رَبِّ فَدُلَّنِي عَلَيْهِ قَالَ فَقِيلَ لَهُ تَزَوَّدْ حُوتًا مَالِحًا فَإِنَّهُ حَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ قَالَ فَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَعُمِّيَ عَلَيْهِ فَانْطَلَقَ وَتَرَكَ فَتَاهُ فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمَاءِ فَجَعَلَ لَا يَلْتَئِمُ عَلَيْهِ صَارَ مِثْلَ الْكُوَّةِ قَالَ فَقَالَ فَتَاهُ أَلَا أَلْحَقُ نَبِيَّ اللَّهِ فَأُخْبِرَهُ قَالَ فَنُسِّيَ فَلَمَّا تَجَاوَزَا (قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا) قَالَ وَلَمْ يُصِبْهُمْ نَصَبٌ حَتَّى تَجَاوَزَا قَالَ فَتَذَكَّرَ (قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا) فَأَرَاهُ مَكَانَ الْحُوتِ قَالَ هَا هُنَا وُصِفَ لِي قَالَ فَذَهَبَ يَلْتَمِسُ فَإِذَا هُوَ بِالْخَضِرِ مُسَجًّى ثَوْبًا مُسْتَلْقِيًا عَلَى الْقَفَا أَوْ قَالَ عَلَى حَلَاوَةِ الْقَفَا قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَكَشَفَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ قَالَ وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ مَنْ أَنْتَ قَالَ أَنَا مُوسَى قَالَ وَمَنْ مُوسَى قَالَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ مَجِيءٌ مَا جَاءَ بِكَ قَالَ جِئْتُ لِ (تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا) شَيْءٌ أُمِرْتُ بِهِ أَنْ أَفْعَلَهُ إِذَا رَأَيْتَهُ لَمْ تَصْبِرْ (قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا) قَالَ انْتَحَى عَلَيْهَا قَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام (أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا) غِلْمَانًا يَلْعَبُونَ قَالَ فَانْطَلَقَ إِلَى أَحَدِهِمْ بَادِيَ الرَّأْيِ فَقَتَلَهُ فَذُعِرَ عِنْدَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام ذَعْرَةً مُنْكَرَةً (قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ هَذَا الْمَكَانِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى لَوْلَا أَنَّهُ عَجَّلَ لَرَأَى الْعَجَبَ وَلَكِنَّهُ أَخَذَتْهُ مِنْ صَاحِبِهِ

[1]) رواه البخاري ج11 ص 202 رقم 3149

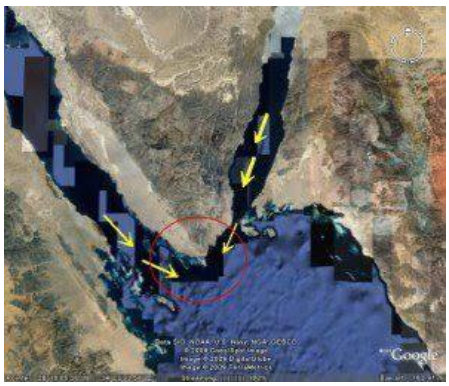
ذَمَامَةٌ (قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا) وَلَوْ صَبَرَ لَرَأَى الْعَجَبَ قَالَ وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ أَحَدًا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ بَدَأَ بِنَفْسِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى أَخِي كَذَا رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ) لِئَامًا فَطَافَا فِي الْمَجَالِسِ فَـ (اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ) وَأَخَذَ بِثَوْبِهِ قَالَ (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ فَإِذَا جَاءَ الَّذِي يُسَخِّرُهَا وَجَدَهَا مُنْخَرِقَةً فَتَجَاوَزَهَا فَأَصْلَحُوهَا بِخَشَبَةٍ (وَأَمَّا الْغُلَامُ) فَطُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا وَكَانَ أَبَوَاهُ قَدْ عَطَفَا عَلَيْهِ فَلَوْ أَنَّهُ أَدْرَكَ أَرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ [2]

قوله (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) (60) ففي صحيح مسلم أن الله أَوْحَى إِلَيْ موسى **إِنَّ فِي الْأَرْضِ رَجُلًا هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ** قَالَ "يَا رَبِّ فَدُلَّنِي عَلَيْهِ" قَالَ فَقِيلَ لَهُ تَزَوَّدْ حُوتًا مَالِحًا فَإِنَّهُ حَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ) [3] ، تلك هي بداية قصة موسى والخضر عليهما السلام ، ومنها تتجلى أسمى المعاني التربوية والمنطلقات العملية التي تخطّ لطالب المعرفة منهجاً متكاملاً؛ إذ لم تكن هذه الرحلة التاريخية مجرد تنقّل في الجغرافيا، بل كانت **جهاداً نفسياً وبذلاً مستمراً يبرهن على أن العلم عبادة تفتقر إلى إخلاص النية ومفارقة الراحة طوال العمر.**

إذ تنطلق الرحلة بدرس بليغ في **التواضع للمعرفة وعلو الهمة**؛ فبالرغم من مكانة موسى عليه السلام العالية ككليم الله ومن أولي العزم من الرسل، إلا أنه لم يتردد فوراً في المبادرة بالارتحال صَوْبَ التعلّم حين علم بوجود من هو أعلم منه في بعض شؤون الغيب والمقادير. ولذلك قيل (**اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد**)

وفي هذا الارتحال إعلاءٌ لشرف السعي لطلب العلم ، مثل قول القائل (**اطلبوا العلم ولو في الصين**) ؛ فالرحلة لمشافهة العلماء وتحصيل الحكمة هي عبادة جليلة يُتقرب بها إلى الله، وطريقٌ ممهد وبوابة موصلة إلى الجنة ، وقد أكد النبي ﷺ على هذا المعنى بقوله "**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**"

فطريق العلم تذوب في سبيله مشقات السفر الطويل، ويصبح بذل الجهد من أجل مسألة هدى واحدة ترشد المسلم أو تردّه عن ردى، هو السعي الرابح الذي لا يعرف ضياع الوقت. فصرف الوقت في غير ذكر الله وطلب العلم يضيعه، ولذلك حذرنا النبي ﷺ بقوله (**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرَ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ أَوْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا**)[4].



[2]) رواه مسلم ج12 ص 90 رقم 4386
[3]) رواه مسلم ج12 ص 90 رق 4386
[4]) رواه ابن ماجة ج12 ص 136 رقم 4102

ولابد لطالب العلم أن يلتمس الأمارات في طريقه يستدل بها على السير الصحيح ، حتى لا يبذل جهدا في الطريق الخطأ ، إن هذا السعي الدؤوب يُمثّل أخذاً حقيقياً بالأسباب عبر اتخاذ الوسائل **والأمارات المتاحة** و**الصبر عليها مهما بدت بسيطة**، ليكون العلم والتعلم هما القيمة الحقيقية العاصمة للمرء من الغفلة، والرافعة لمقت الدنيا ببركة بقائهما وأثرهما.

ولهذا نجد أن الله دل موسى على مكان العبد الصالح بأمارة "فقد الحوت" ، ففي حديث أبي ابن كعب المشار إليه **قال رسول الله ﷺ**: «...**فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ**...)[5] يعني أن الله تعالى قد جعل لموسى علامة يعرف بها مكان العبد الصالح، وهي فقدان الحوت (السمكة).والحوت الذي كان معهما في المكتل كان ميتاً ومشوياً (ليأكلاه في السفر)، ولكنه عند مجمع البحرين دبت فيه الحياة فجأة، وقفز في البحر واتخذ طريقه في الماء بشكل عجيب (سرباً). وكان هذا الإحياء معجزة وعلامة على وجود الخضر في ذلك المكان.

ولا تكتمل العزيمة لطلب العلم إلا **بانتقاء الصحبة الصالحة** التي تعين على الطاعة، لاسيما الاستعانة بالشباب في رحلة العلم والدعوة؛ كون مرحلة الشباب هي الوقود الحيوي للتحصيل والعمل، تماماً كما تجسد في اصطحاب موسى لفتاه يوشع بن نون. فكان هو الفتى ساعد موسى في طلب العلم ، في سن أصحاب الكهف كانوا فتية كذلك ، وفي ذلك إشارة إلى أن هذا **السن هو المحرك الأساسي لنشر الدعوة الإسلامية** .

ومناداة موسى فتاه بهذا اللفظ يتفق مع الهدي النبي الذي أرشد إليه الرسول ﷺ قال (لا يقل أحدكم عبدي أمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله **وليقل غلامي جاريتي وفتاى وفتاتي**)[6] ، إذ ينبغي إكرام الصاحب والخادم وتطييب خاطره مادياً ومعنوياً، تماشياً مع الهدي النبوي الذي يرى في المعاونين إخوةً تجب مواساتهم والإحسان إليهم.

قال القرطبي (في هذا من الفقه رحلة العالم في طلب الازدياد من العلم، والاستعانة على ذلك بالخادم والصاحب، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم، وذلك كان في دأب السلف الصالح، وبسبب ذلك وصل المرتحلون إلى الحظ الراجح، وحصلوا على السعي الناجح، فرسخت لهم في العلوم أقدام، وصح لهم من الذكر والأجر والفضل أفضل الأقسام)[7].

ولكي تؤتي هذه الرحلة ثمارها، رسمت القصة معالم المنهج العملي الذي يقوم أولاً على **العزيمة الصادقة والنفس الطويل**، والاستعداد لتكريس العمر والوقت في سبيل المعرفة، وهو ما يلوح في عزم موسى النافذ حين قال (أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) فلم يبال موسى بعدد السنوات التي يقطعها في طريقه لملاقاة من هو أعلم منه ليتعلم منه ، ولذلك بوب البخاري بابا بعنوان (**بَاب الْخُرُوجِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ**) وقال (وَرَحَلَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ)[8]

كما أن اختيار العبد الصالح لمجمع البحرين ليكون مكانا له ليدل على أنه يعيش بعلمه بين الناس وأنه لم يكن معتكفاً في صومعة جبلية معزولة، بل **اختار مكاناً يضج بالحركة الملاحية والأنشطة البشرية**، مما يوضح أن "**الولاية**"

---

[5]) صحيح البخاري (حديث رقم 4725)
[6]) رواه البخاري في الأدب المفرد ج1 ص 82 رقم 209 وصححه الألباني صحيح الأدب المفرد ج 1ص93 رقم 153/209
[7]) تفسير القرطبي ج11 ص 11
[8]) رواه البخاري ج1 ص 138

و"**العلم الرباني**" –في سياق السورة– **يرتبطان بنفع الخلق وإصلاح معايشهم** ، مثلما خرق السفينة ليمنع القراصنة من الاستيلاء عليها ، وأصلح جدار اليتيمين الذي تحته كنز لهما ، فقد أعطى دروسا في فقه الموازنة بين المفاسد والمنافع ، وارتكاب الضرر الأدنى لدفع الضرر الأكبر .

ومن هذا الأدب الرفيع ينبثق الحرص على **اغتنام لقاء العلماء** ومجالسة أهل الفضل وإن بَعُدت مسافاتهم وناءت الديار، وهو دأب السلف الصالح الذي أثمر رسوخاً في العلم وامتداداً في الأثر. قال الشعبي (لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في سبيل كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى ما كان سفره ضائعاً).

إن العلم في جوهره ليس ترفاً ذهنياً تزجى به الأوقات، بل هو جهاد متواصل، وبذل دائم، وعزيمة لا تلين، يسيّجها الأدب وتحفّها الصحبة الصالحة؛ ومن أراد أن ترسخ في المعرفة قدمه، وتتصل بأسرار الحكمة أسبابه، فعليه بمفارقة الدعة، وملازمة العلماء، مستصحباً نية مخلصة تلازمه طوال العمر. وقد مضى موسى –بالفعل– حقبا في هذا الأمر .

قوله (فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا) (61) مجمع البحرين هو المكان الذي أخبره الوحي بأنه سوف يجد عنده العبد الصالح "الخضر" ليسأله عن علمه ويستزيد منه ، فلما بلغ ذلك المكان قفزت السمكة من الإناء في البحر فكان ذلك علامة علي أن هذا المكان هو الذي فيه الخضر ، **وطالب العلم لا بد وأن يكون يقظا منتبها لكل أمارة وقرينة على وصوله لمطلبه** ، فلما قفزت السمكة في البحر ظهرت علامة في الماء كالسرب ، وهذه معجزة أن يتجمد الماء في المكان التي قفزت فيه السمكة ، ولكن فتاه يوشع بن نون نسي أن يخبر موسى بذلك ، فتجاوزا العلامة وسارا في البحر بعيدا عن المكان المستهدف ، وتلك نقيصة في طالب العلم وهي النسيان .

ولذلك قيل أن "آفة العلم النسيان" [9]، فالعقل البشري بطبيعته وعاء معرّض للانشغال والتدفق المستمر للمعلومات؛ فإذا لم يفتّش الإنسان في معلوماته ويستذكرها دورياً، فإنها تتلاشى وتُمحى من الذاكرة بمرور الوقت. ومن هنا قيل"وحياته المذاكرة"، فالمراجعة والدراسة المستمرة هما الحصن المانع من النسيان.

وقد وجه القرآن إلى أهمية مدارسة العلم في أكثر من موضع :-

كما في قوله (كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ) (آل عمران 79)

وقوله (وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (الأنعام 105)

وقوله (أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) (الأعراف 169)

وقوله (وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ) (سبأ 44)

وقوله (أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ) (القلم 37)

كما وجه النبي ﷺ إلى مدارسة القرآن فقال (مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)[10]

---

[9]) أخرجه الدارمي في مسنده عن عبد الله بن مسعود

[10]) رواه أبو داود ج4 ص 248 رقم 1243 وصححه الألباني ورواه مسلم ج13 ص 212 رقم 4867

وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : من تعلم آية من كتاب بالله عز وجل استقبلته يوم القيامة تضحك في وجهه)[11]

فلما كان آفة العلم النسيان، تعين قبل طلب العلم تنشيط العقل وتقوية الذاكرة ، وذلك يحتاج إلى تدريب لمستويات كثيرة ، ويكون تلقي العلم بقدر الطاقة والوسع ، ولذلك لا يجوز تعليم الناس كل العلم بما يزيد عن طاقتهم ، وإلا كان هذا العلم وبالا عليهم ، ولذلك قَالَ عَلِيٌّ **(حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)** [12].

والنبي ﷺ كبشر ليس معصوما من النسيان – في غير مقام الدعوة والتبليغ – عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يَقْرَأُ فِي سُورَةٍ بِاللَّيْلِ فَقَالَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً كُنْتُ أُنْسِيتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا)[13]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِئْسَمَا لِأَحَدِهِمْ يَقُولُ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ بَلْ هُوَ نُسِّيَ اسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنْ النَّعَمِ بِعُقُلِهَا)[14]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ تَعَاهَدُوا هَذِهِ الْمَصَاحِفَ وَرُبَّمَا قَالَ الْقُرْآنَ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنْ النَّعَمِ مِنْ عُقُلِهِ)[15].

وتؤكد هذه الحادثة أن السعي الجاد والحرص على طلب العلم لا يضمنان وحدهما نيله؛ فرغم أن موسى عليه السلام استنفد كافة السبل للوصول إلى الخضر، إلا أنه تجاوز المكان المحدد دون أن يشعر. وفي هذا درس بليغ للإنسان بأن العلم رزق خالص من الله، يقسّمه بين عباده بفضله وحكمته—حتى وإن كان طالب العلم نبياً مرسلاً—فلا تفتح خزائن المعرفة إلا بمشيئة الله وفي الوقت الذي يقدره.

قال ابن القيم : (حقيق بالمفتي أن يكثر الدعاء بالحديث الصحيح: "اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم" وكان شيخنا –يقصد الإمام بن تيمية – كثير الدعاء بذلك، وكان إذا أشكلت عليه المسائل يقول: "يا معلم إبراهيم علمني" ويكثر الاستعانة بذلك اقتداء بمعاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال لمالك بن يخامر السكسكي عند موته وقد رآه يبكي، فقال: والله ما أبكي على دنيا كنت أصيبها منك، ولكن أبكي على العلم والإيمان اللذين كنت أتعلمهما منك، فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: إن العلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما)[16].

وقد قيل في مجمع البحرين عدة أقوال منها أنهما نقطة التقاء خليج العقبة مع خليج السويس عند رأس محمد

---

[11]) رواه الطبراني : المعجم الكبير ج8 ص 129 رقم 7604
12) رواه البخاري ج1 ص 217 رقم 124
[13]) رواه البخاري ج15 ص 455 رقم 4650
[14]) رواه مسلم ج4 ص 199 رقم 1314
[15]) رواه مسلم ج4 ص 200 رقم 1315
[16]) المستدرك على مجموع الفتاوى ج5 ص 150

وقيد أنهما كناية عن بحرين مختلفين من العلم بحر الشريعة وبحر الحقيقة ، فبحر الشريعة الذي أرسل الله به موسى متمثلا في أحكام التوراة ، وبحر الحقيقة وهو فقه المقاصد الذي عند الخضر ، وكلاهما يجتمعان لا يفترقان ، ودون استطراد لا دليل له في تحديد ماهية مجمع البحرين ، فإننا نتقصر عما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ **وِعَاءَيْنِ** فَأَمَّا أَحَدُهُمَا **فَبَثَثْتُهُ** وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ[17]، قال ابن الأثير (أراد الكِنايَةَ عَن مَحَلِّ العِلْم وجَمْعِه فاسْتَعارَ لهُ الوِعَاءَ)[18]، وهو ما سوف نفصله في قوله (لن تصبر على ما لم تحط به خبرا).

قوله (فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا) (61) أي أن الحوت المملح قد عادت له الروح ، فقفز في الماء ، ففي حديث مسلم (فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمَاءِ فَجَعَلَ لَا يَلْتَئِمُ عَلَيْهِ صَارَ مِثْلَ الْكُوَّةِ[19])[20] ، والسرب، والسراب: الشيء الممتد الذي تراه من لا شيء، و(سرباً في البحر) أي: اتخذ طريقاً ويشق طريقه في الماء **كما لو جاء زورقاً ومشى بسرعة فإنه يترك وراءه سرباً في الماء** –علامة– كي يكون سلوكه في الماء محسوساً ملموساً يشاهده الإنسان)[21]



أي: (جاعلاً سراباً وراءه؛ ليعلم الناظر أن الحوت بعد أن أحياه الله ومشى في الماء ترك السراب وراءه، أي: جعل الماء منشقاً ليتأكد الرائي بأن الحوت قد عادت إليه حياته، ولم يكن مجرد سقوط في الماء ليرسب في قاعه أو يكون في وسط الماء)[22].

فهذه عجيبة من العجائب أن يحي الله الحوت ولا يلتئم الماء الذي قفز فيه ، لأن الشق في الماء يلتئم بعد برهة ، فكونه لا يلتئم ويتخذ شكل فجوة في الحائط ، فتلك علامة بارزة حتى يقف السير عندها ، ورغم ذلك فإن الفتى الذي رأى هذه المعجزة نسي أن يخبر موسى بذلك ، فتجاوزا المكان ، ولم ينتبها للعلامة .

قوله (فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا) (62) انشغل موسى بشكل إيجابي بتجهيز الطعام حتى يستقوى به على استكمال السفر ، فالإنسان عليه القصد في الرحلة ، ولذلك ورد في الأثر (إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، فإن **المنبت لا يقطع سفرا و لا يستبقي ظهرا**)[23]، والمعنى أن الدابة إذا حملت عليها في السير

---

[17]) رواه البخاري ج1 ص 203 رقم 117
[18]) النهاية في غريب الأثر ج5 ص 456
[19]) الكوة : هي الطاقة للضوء ، فتح الباري لابن حجر ج8 ص 447 ، أي نافذة للضوء ، فإذا كانت في الجدار فإنها غير نافذة للضوء ، لكن يوضع فيها المصباح انظر مشكاة المصابيح شرحه مرعاة المفاتيح ج1 ص 5 قال الجوهري الكوة نقب البيت انظر (مشارق الأنوار على صحاح الآثار ج1 ص 348 للقاضي أبو الفضل عياض ،
[20]) رواه مسلم ج12 ص 90 رق 4386
[21]) شرح الأربعين النووي للشيخ عطية سالم ج8 ص 8
[22]) شرح الأربعين النووية للشيخ عطية سالم ج78 ص 3
[23]) البيهقي في شعب الإيمن ج3 ص 401 رقم 3885

وأجهتها ولم ترفق بها ، ولم تسترح فإنه يصيبها الإعياء والنصب وقد تنفق وتموت ، فلا تحصل مصلحة المسافر ولن يبلغ قصده ، لأن راحلته قد ماتت ، فيهلك معها لانقطاع الزاد عنه أو نفاذه أثناء السير .

من هنا نتعلم أن المسلم دائما بحاجة لزاد من الدنيا يستعين به على طاعة الله ، فكما أن أهل الكهف طلبوا طعاما ليستعينوا به في فرارهم إلى الله ، فكذلك طلب موسى طعاما في رحلته لطلب العلم

وقد استدل الإمام القرطبي بهذه الآية على جواز التزود في السفر، وردّ على الصوفية والجهلة الذين يخرجون إلى السفر بلا زاد زاعمين أنهم متوكلون. وقال: "في هذه الآية دليل على اتخاذ الزاد في السفر، وهو رد على الصوفية الجهلة الذين يخرجون بلا زاد زاعمين أنهم متوكلون، وموسى نبي الله قد اتخذ الزاد هو وفتاه.

كما أوضح الإمام ابن القيم (في مدارج السالكين) أن حقيقة التوكل لا تتم إلا بالأخذ بالأسباب، وأن إهمال الزاد ليس من الدين، بل هو إضاعة للمال والنفس. فالقلب يتوكل على الله، والجوارح تعمل وتأخذ بالأسباب.

كما أشار الحافظ ابن كثير إلى أن موسى –عليه السلام– لم يطلب الغداء ولم يشعر بالتعب (النصب) إلا بعد أن جاوز المكان المحدود له لقاء الخضر فيه، وفي هذا دليل على أن البشر –مهما بلغت منزلتهم من النبوة– تعتريهم الحاجات البشرية من الجوع والتعب، وعليهم الاستعانة بالطعام والشراب للاستقواء.

والأدلة على مشروعية التزود والأمر به استحبابا أو وجوبا :–

قوله تعالى في شأن الحج :(وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) (البقرة: 197).

وسبب نزولها :أن أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون، ويقولون: "نحن المتوكلون"، فإذا قدموا مكة سألوا الناس واستجدوهم، فأنزل الله هذه الآية ليأمرهم بالاتكال على أنفسهم وحفظ كرامتهم باتخاذ الزاد.

كذلك قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا) (المؤمنون: 51). فقرن الله عز وجل بين أكل الطيبات (التي تقيم الصلب وتمنح القوة) وبين العمل الصالح.

ومن الأدلة من السنة النبوية المطهرة :–

فعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: "كَانَ أَهْلُ اليَمَنِ يَحُجُّونَ وَلاَ يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ المُتَوَكِّلُونَ، فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى :**(وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى.**[24]**)**

إعداد النبي ﷺ للزاد في هجرته: في أعظم رحلة توكل في التاريخ (الهجرة النبوية)، لم يخرج النبي ﷺ بغير زاد، بل أعدت له أسماء بنت أبي بكر –رضي الله عنها– الزاد وشقّت نطاقها لتربط به السفرة، فلقبت بـ "ذات النطاقين."

وقول رسول الله ﷺ «**المُؤْمِنُ القَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ،** وفي كُلٍّ خَيْرٌ **احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ،** وَاسْتَعِنْ باللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ...»[25]. فالاستقواء بالطعام والشراب المباح يدخل في باب الحرص على ما ينفع البدن

24) رواه البخاري ج5 ص 404 رقم 1426
25) رواه مسلم ج13 ص 142 رقم 4816

لطاعة الله.فالزاد في الدنيا وسيلة وليس غاية؛ فالمسلم يستعين بمتاع الدنيا وطعامها ليقوى على عبادة الله، والقيام بواجباته، وعمارة الأرض

قوله (قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ) (63) أي عندما أوى نبي الله موسى عليه السلام وفتاه يوشع بن نون إلى الصخرة، وضعا رأسيهما فناما، وأثناء ذلك اضطرب الحوت ، فخرج من المكتل (الوعاء الذي يحملان فيه الطعام) وسقط في البحر فاتخذ سبيله فيه عجباً ، فلاحظ ذلك يوشع بن نون ، ولعله من ثقل رأسه استغرق في النون ، ولما استيقظ يوشع بن نون، نسي أن يخبر نبي الله موسى بما حدث للحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى تجشما عناء السفر، فلما جاوزا المكان وجاعا، تذكر يوشع فقال: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: 63] ، ولعله تذكر بعد أن رفع عقد الشيطان عنه بعد نومته بذكر الله ، كما أشار لهذا المعنى حديث رسول الله ﷺ قَالَ (يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ)[26]

وقد أوضح الإمام ابن كثير أن (ذكر الله تعالى يطرد الشيطان، فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان، فذكر الله سبب للذكر).[27]

فمقالة يوشع بن نون لموسى بعد تذكره بمثابة تدارك لآثار النسيان فور الاستيقاظ بسرعة تنبيه موسى قبل فوات الأوان ، وهذا الأدب ورد في قوله تعالى (**وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ**) [الكهف: 24]، قال رسول الله ﷺ (**إن المؤمن خلق مفتنا توابا نساء إذا ذُكِّر ذكر**)[28] والمرادُ أنَّه إذا ذُكِّرَ باللهِ وعِقابِه؛ تذكَّرَ فيَرجِعُ عن ذَنبِه، فيَكونُ المعنى: أنَّه يَتوبُ، ثُمَّ يَنسى فيَعودُ، ثُمَّ يَتذكَّرُ فيَتوبُ، فكلَّما وقَعَ في الذَّنبِ؛ لم يَيأَسْ، بل يُسرِعُ الرُّجوعَ بالتَّوبةِ إلى اللهِ)[29] .

وهذه الحادثة لا ينساها أحد ، ولكن يوشع بن نون نسي أن يخبر موسى ذلك ، قال الألوسي (لعله شغله بوساوس في الأهل ومفارقة الوطن فكان ذلك سبباً للنسيان بتقدير العزيز العليم وإلا فتلك الحال مما لا تنسى)[30]

وقد عزي الشيخ مصطفى حسين سبب النسيان إلى أن يوشع بن نون قد شاهد من المعجزات العظيمة في عهد موسى عليه السلام ما يبهر الألباب؛ بدءاً من العصا حين تحولت حية تسعى، مروراً بمعجزة شق البحر، وصولاً إلى رفع الجبل فوق رؤوسهم، فما كان من أمر الحوت في نظره بمقارنة تلك المعجزات الهائلة ما يجعله يلتفت إليه أو يثبّته في ذهنه بالقدر الكافي[31].

وقد عزا يوشع بن نون النسيان إلى الشيطان ، فهو الذي أنساه ، بعدما استغرق في النوم ، وقد بيّن أبو حيان (أن الشيطان لا يقدر على خلق النسيان بذاته، وإنما يوسوس للإنسان، فتكون وسوسته سبباً للذهول والتفريط؛ ولأن

---

[26]) رواه البخاري ج4 ص 310 رقم 1074
[27]) تفسير ابن كثير ج5 ص 150
[28]) رواه الطبراني في المعجم الكبير ج10 ص 282 رقم 10688 ، وصححه الألباني : السلسلة الصحيحة ج5 ص 346 رقم 2276
[29]) https://www.dorar.net/hadith/sharh/120839
[30]) تفسير الألوسي ج11 ص 312
[31]) إمام وخطيب مسجد المدينة بالإسكندرية وقام بتفسير القرآن الكريم وشرح الحكم العطائية https://www.youtube.com/watch?v=c-uM6Rz-_J9

الأنبياء ومن تبعهم في سلك الصلاح متقون لله، فما يصدر عنهم من تقصير إنما يكون من باب النسيان والخطأ غير المتعمد، ووصفهم بذلك دليل على براءة ساحتهم مما يُؤاخذ عليه العاصي) [32].

قوله (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) (63) تعجب يوشع بن نون من أن أثر نزول السمكة في الماء لا يزال موجودا لا يلتئم ، هنا أراد الله تعالى أن يريهما من الآيات العجاب ما لم يراهما من قبل ، في تمهيد منه سبحانه قبل ملاقاتهم للخضر وتلقي العلم منه ، وجمهور المفسرين قالوا هذه الآية كانت للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا ، إذ لو لم يحصل ذلك ولو وجدا الخضر دون أن تحدث هذه المشكلة ، لتذكروا المسافة الكبيرة التي قطعوها لأجل ملاقاته ، ما قد يجعلهم في فتور عند قدومهم لطلب العلم ، ولكن الله تعالى أراد أن يشغلهما عن ذلك ، ليحمدا الله أنهما لم يفقدا الطريق الموصل إليه ، **فالعجب ينسي الإنسان مشقة السفر ، بل ويحفزهما للتركيز واستقبال الخضر بهيئة مستجدة** ، وتلك وسيلة من وسائل التعليم السريع وتحفيز الذهن .

إذ يعتبر **تأثير الإبهار (Wow Effect) والاستعانة بوسائل تثير الإعجاب في التعليم** من الأدوات الإستراتيجية الحديثة التي تهدف إلى كسر جمود التلقين التقليدي وتحويل الموقف التعليمي إلى تجربة حيوية ومثيرة لاهتمام المتعلمين .يعتمد هذا المفهوم على إحداث حالة من الدهشة الذهنية والعاطفية لدى الطالب عند تقديم المعلومة، مما يدفعه غريزياً نحو الاستكشاف والتعلم.

قوله (قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ) هنا لم يلُم موسى فتاه أن فوَّت العلامة في البحر ولم يخبره آنذاك ، لأن اللوم على ما حصل لن يرجع ما فات ، وقد فهم موسى أن ما حصل لم يكن شرا لهما ، بل هو خير .

وفي هذا المعنى يقول صاحب الظلال (وكل إنسان – في تجاربه الخاصة – يستطيع حين يتأمل أن يجد في حياته مكروهات كثيرة كان من ورائها الخير العميم . ولذات كثيرة كان من ورائها الشر العظيم . وكم من مطلوب كاد الإنسان يذهب نفسه حسرات على فوته؛ ثم تبين له بعد فترة أنه كان إنقاذاً من الله أن فوت عليه هذا المطلوب في حينه . وكم من محنة تجرعها الإنسان لاهثاً يكاد يتقطع لفظاعتها . ثم ينظر بعد فترة فإذا هي تنشئ له في حياته من الخير ما لم ينشئه الرخاء الطويل)[33] .

انبهر موسى بما حصل ، ولكنه يركز على هدفه الذي يبتغيه ، وقد وصل إليه ، ولم يستطرد في الانبهار والتعجب ، بل اهتم بما ارتحل لأجله ، فلضمان أن يخدم الإبهار العملية التعليمية ولا يتحول إلى مجرد "استعراض"، يجب اتباع الآتي:

أولا : العلم بأن الوسيلة تخدم الهدف: إذ يجب ألا تستخدم وسيلة مبهرة إلا إذا كانت تحقق هدفاً سلوكياً أو معرفياً يصعب تحقيقه بالوسائل العادية.وقد أراد الله أن يعجبا من سلوك الحوت كتهيئة لموسى حينما يرى من الخضر أعجب من ذلك .

---

[32]) الزمخشري : الكشاف ج1 ص 251 ، البحر المحيط ج3 ص 138

[33]) في ظلال القرآن ج1 ص 204

ثانيا : التوقيت الذكي: يفضل استخدام الإبهار في بداية الدرس (كتهيئة حافزة) أو في نهايته (كتطبيق عملي مثير)، وليس طوال فترة الشرح.وهو ما حصل قبيل ملاقاة موسى الخضر تماما وقبل أن يشرع في تعليم موسى مما علم رشدا.
ثالثا : انتقال الطالب من المشاهدة إلى الفعل: تحويل الإبهار من "استقبال سلبي" (مشاهدة الطالب لعرض مبهر) إلى "مشاركة إيجابية" (قيام الطالب بنفسه بالتجربة أو التحكم بالتقنية). وهذا لم يحصل حين خرق الخضر السفينة ، فقد شاهد موسى هذا الأمر ابتداء ، ثم في قصة الغلامين اليتيمين قام الخضر ببناء الجدار ، وموسى يشاهد ولم يشارك ، فكان امتناعه عن المشاركة لاعتراضه . وكان ذلك سبب الفراق بينهما في المرة الثالثة .

ولنجاح ذلك لابد من توافر عنصري : "الثقة" و "الصبر" فهما من أهم عوامل التحول من مجرد المشاهدة إلى المشاركة الإيجابية في التجربة ذاتها ، فالعلم الذي لا يتم ترجمته إلى عمل سريع نسيانه ، ولم تكن عند موسى إشكالية في الثقة ، لكنها قلت بالتدريج لما رآه ما أنكره وقال للخضر "لقد جئت شيئا إمرا"، وقال "لقد جئت شيئا نكرا" ، أما الصبر فلم يصبر ، ولذلك قال رسول الله ﷺ (وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا)[34].

قوله (فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا) (64) عَنْ قَتَادَة، فِي قَوْلِهِ:" فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا " ، قَالَ: عودهما عَلَى بدئهما"[35]، أي ارتدا إلي مكان الحادثة ، أي إلى الصخرة التي قفز عندها الحوت –السمكة الكبيرة – من المكتل ، فضرب خطا في البحر ، قيل أنهما تتبعا آثار أقدامهما [36]

قال الشعراوي أي (عادا على أثر الأقدام كما يفعل قَصَّاصُو الأثر ، أي : بدقة إلى أنْ وصلاَ إلى المكان الذي تسرَّب فيه الحوت ، وهو الموعد الذي ضربه الله تعالى لموسى – عليه السلام – حيث سيجد هناك العبد الصالح)[37].

والسياق يظهر أن سفرهما كان عن طريق البحر (والعجيب أنهما ارتدا على أثر ذلك وهما على طريق البحر ، وذلك كله يدل على أنه كان لديهما خبرة بعلوم البحار ، وتتبع الأثر سواء في البر والبحر ، ولعل ذلك كان بالاستعانة بالنجوم ، فالبحارة يستعينون بها لمعرفة الطرق)[38] .

بذلك نتعلم طريقة **الاستدلال الصحيحة من خلال علم الأمارات والقرائن والتفرس فيهما** ، فما وصل موسى للخضر إلا بتتبع الأثر ، وهذا من علم القرائن والاستدلالات ، وليس بطريق الوحي ولا الأدلة المقطوع بها ، كذلك وصل الأعرابي لمعرفة ربه ، لما تتبع أثر قدرته في خلقه ، فقال الأثر يدل على المسير، والبعرة – أي الفضلات التي تخرج من البعير – تدل على البعير – أي البهائم –، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج ألا تدل على السميع البصير.

---

[34]) رواه البخاري ج14 ص 351 رقم 4358
[35]) تفسير ابن أبي حاتم ج9 ص 224
[36]) جمهور المفسرين
[37]) تفسير الشعراوي ج1 ص 5440
[38]) تتطلب الملاحة الفلكية مخططات النجوم التي تمكن الملاح من تحديد نجوم معينة في السماء من خلال موقعها داخل الأبراج المختلفة. أقدم وثيقة معروفة من العالم الإسلامي لفهرسة النجوم ورسم خرائط الأبراج هي النص العربي، كتاب صور الكواكب، كتاب النجوم الثابتة الذي جمعه عالم الفلك الفارسي عبد الرحمن الصوفي حوالي العام 964 ميلادية.

فمن المعلوم أصوليا أن الحُكم يَدور مع عِلّته وأماراته وجوداً وعدماً وفي هذا أشار شهاب الدين القرافي إلى أن الأحكام القضائية والسياسية تتبع العلامات الدالة على الحق ، **إذ تُستعمل القرائن حيث تَضعف وسائل الإثبات التقليدية ، وقلما تجد مسألة – في مجال القضاء والسياسة– اكتملت وسائل إثباتاتها بالوسائل التقليدية** ، ولذلك أشار الخطيب الشربيني إلى أهمية الأخذ بالقرائن المعاصرة لحفظ الأمن عند غياب الشهود ، كما **قرر** الإمام ابن القيم (أن القرائن القوية تُنزل منزلة الشهادة الإقرارية في كشف الجرائم ، وأن الفراسة باب عظيم في العلم والكشف عن الحقائق ، وأن هذا يعتمد كثيرا على التجربة والمشاهدة)[39] ، ولذلك ألف كتابه الطرق الحكمية في السياسة الشرعية. ويسمى هذا الكتاب أيضاً : الفراسة المرضية في أحكام السياسة الشرعية . كما ألف الشيخ شمس الدين محمد بن أبي طالب كتابه (السياسة في علم الفراسة) .

فمن أهمل الأمارات والقرائن؛ فقد ضيّع الحقوق، ولذلك يحذر الإمام ابن فرحون الماكي القضاة والولاة من جمود الظاهر الذي يُفضي إلى إبطال الحق ، **ومن ثم أبان ابن تيمية أن الفراسة عين السياسة، وبها يُعرف المحق من المبطل** مبيناً أن التفرس والذكاء في ربط الدلائل هو جوهر السياسة الشرعية العادلة [40]، فمن فاته علم القرائن والاستنباطات فاته خير كثير .

ولذلك قيل **العلوم عشرة** : علم التوحيد للأديان ، وعلم السر لرد الشيطان ، وعلم المعاشرة للإخوان ، وعلم الشريعة للأركان ، وعلم النجوم للأزمان ، وعلم المبارزة للفرسان ، وعلم السياسة للسلطان ، وعلم الرؤيا للبيان ، **وعلم الفراسة للبرهان** ، وعلم الطب للأبدان ، وعلم الحقيقة للرحمن)[41]

قوله (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا)(65) العبد المشار إليه هو عبد من عباد الله ، وهو "الخضر" الذي نشد موسى الوصول إليه ليطلب العلم منه ، وقد ميزه الله بميزتين :-

الأولى أنه سبحانه آتاه من عنده رحمة ، وهو أمر سابق على العلم ، كما في قوله سبحانه (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة/282)

الأمر الثاني أن الله علمه علما من لدنه ، وهو ما يسميه العلماء بالعلم اللدني ، أي أنه تعلم من الله مباشرة ، ودون واسطة ، أي أنه يوحى إليه ، دليل علي أنه نبي من الأنبياء .

ففي الحديث (فَأَرَاهُ مَكَانَ الْحُوتِ قَالَ هَا هُنَا وُصِفَ لِي قَالَ فَذَهَبَ يَلْتَمِسُ **فَإِذَا هُوَ بِالْخَضِرِ مُسَجًّى ثَوْبًا** مُسْتَلْقِيًا عَلَى الْقَفَا أَوْ قَالَ عَلَى حَلَاوَةِ الْقَفَا ، قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فَكَشَفَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ ، قَالَ وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ أَنَا مُوسَى ، قَالَ وَمَنْ مُوسَى ؟ قَالَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، قَالَ مَجِيءٌ مَا جَاءَ بِكَ ؟ ..الحديث)[42]ففي سؤال الخضر لموسى دليل على أنه وإن كان لديه علم لدني من الله سبحانه ، إلا أنه لا يعلم الغيب إلا بمقدار ما علمه الله إياه فقط .

---

[39]) الجواب الكافي لابن القيم ج1 ص 126 ، الطرق الحكمية لابن القيم ج1 ص 17 ، بدائع الفوائد ج3 ص 636 ، مدارج السالكين ج1 ص 44 ، 45 ، مفتاح السعادة ج2 ص 217

[40]) درء تعارض العقل والنقل ج4 ص 82 إعلام الموقعين ج1 ص 177 ، الأمثال في القرآن ج1 ص 42 ، إغاثة اللهفان ج1 ص 48

[41]) تفسير الرازي ج1 ص 483

[42]) رواه مسلم ج12 ص 90 رقم 4386

والعلم اللدني هو علم قطعي لا ظن فيه ولا مجال فيه للاجتهاد ، لأنه من عند الله تعالى ، يؤتيه لعبده وحيا أو إلهاما ، قال ابن القيم (يشير القوم بالعلم اللدني إلى ما يحصل للعبد من **غير واسطة بل بإلهام** من الله وتعريف منه لعبده كما حصل للخضر عليه السلام بغير واسطة موسى)[43]، فهو من **قبيل الفهم الخاص** لما في الكتاب والسنة والذي يمن الله به على بعض عباده الصالحين

فعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنْ الْوَحْيِ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ قَالَ لَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ **مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهْمًا** يُعْطِيهِ **اللَّهُ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ**)[44] ، (والمراد منه ما يستنبط به المعاني ويدرك به الإشارات التي تظهر **للعلماء الراسخين** في العلم)[45]

قال ابن جوزي (وقوله إلا فهما يعني ما يفهم من **فحوى الكلام** ويدرك من بواطن المعاني)[46]

وقال الملا القاري (**والمعنى أن التفاوت في العلوم لم يوجد من قِبل البلاغ وإنما وقع من قِبل الفهم**)[47].

قال ابن القيم (والعلم اللدني **ثمرة العبودية** والمتابعة والصدق مع الله والإخلاص له وبذل الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسوله وكمال الانقياد له فيفتح له من **فهم الكتاب والسنة** بأمر يخصه به كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد سئل : هل خصكم رسول الله بشيء دون الناس فقال (لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه) ، فهذا هو العلم اللدني الحقيقي)[48] .

قال ابن تيمية (وَأَمَّا " الْعِلْمُ اللدني " فَلَا رَيْبَ أَنَّ اللَّهَ **يَفْتَحُ عَلَى قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ بِسَبَبِ طَهَارَةِ قُلُوبِهِمْ** بِمَّا يَكْرَهُهُ وَاتِّبَاعِهِمْ مَا يُحِبُّهُ مَا لَا يَفْتَحُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِمْ ، وَهَذَا كَمَا قَالَ عَلِيٌّ " إلَّا فَهْمًا يُؤْتِيهِ اللَّهُ عَبْدًا فِي كِتَابِهِ" ، وَفِي الْأَثَرِ " **مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** " [49]

وَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ

كَقَوْلِهِ : (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا)

وقوله (وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا)

وقوله (وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا)

فَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ مَنْ فَعَلَ مَا يُؤْمَرُ بِهِ يَهْدِيهِ اللَّهُ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَقَالَ تَعَالَى (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ) وَقَالَ تَعَالَى : (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) وَقَالَ (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) وَقَالَ تَعَالَى (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) وَقَالَ تَعَالَى (هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) وَقَالَ تَعَالَى (هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[50].

---

[43]) مدارج السالكين ج2 ص 476

[44]) رواه البخاري ج10 ص 258 رقم 2820

45) : السيوطي ، عبدالغني ، فخر الحسن الدهلوي :شرح سنن ابن ماجة ج1 ص 191

[46]) كشف المشكل من حديث الصحيحين ج1 ص 137

[47]) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج11 ص 23

[48]) مدارج السالكين ج2 ص 476

[49]) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص 342 ، الإيمان لابن تيمية ج1 ص 123

[50]) مجموع الفتاوى ج13 ص 245

وقال ابن تيمية (وَالنَّاسُ فِي هَذَا الْبَابِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ طَرَفَانِ وَوَسَطٌ ، فَقَوْمٌ يَزْعُمُونَ أَنَّ مُجَرَّدَ الزُّهْدِ وَتَصْفِيَةِ الْقَلْبِ وَرِيَاضَةِ النَّفْسِ تُوجِبُ حُصُولَ الْعِلْمِ بِلَا سَبَبٍ آخَرَ ، وَقَوْمٌ يَقُولُونَ : لَا أَثَرَ لِذَلِكَ بَلْ الْمُوجِبُ لِلْعِلْمِ الْعِلْمُ بِالْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ أَوْ الْعَقْلِيَّةِ ، وَأَمَّا الْوَسَطُ : فَهُوَ أَنَّ **ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ** مُعَاوَنَةً عَلَى نَيْلِ الْعِلْمِ ؛ **بَلْ هُوَ شَرْطٌ** فِي حُصُولِ كَثِيرٍ مِنْ الْعِلْمِ **وَلَيْسَ هُوَ وَحْدَهُ كَافِيًا** ؛ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ أَمْرٍ آخَرَ **إمَّا الْعِلْمِ بِالدَّلِيلِ** فِيمَا لَا يُعْلَمُ إلَّا بِهِ ، وإما **التصور الصحيح لطرفي القضية في العلوم الضرورية** (وهو ما يسمى بعلم الفراسة).

وأما العلم النافع الذي تحصل به النجاة من النار، ويسعد به العباد، فلا يحصل إلا باتباع الكتب التي جاءت بها الرسل، قال تعالى (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن) [طه : 123.127] . . . إلخ،وقال تعالى (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) [الزخرف : 36] ، فمن ظن أن الهدى والإيمان يحصل بمجرد طريق العلم مع عدم العمل به، أو بمجرد العمل والزهد بدون العلم فقد ضل .

وأضل منهما من سلك في العلم والمعرفة طريق أهل الفلسفة والكلام، بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة، ولا العمل بموجب العلم أو سلك في العمل والزهد طريق أهل الفلسفة والتصوف، بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة، ولا اعتبار العمل بالعلم، فأعرض هؤلاء عن العلم والشرع، وأعرض أولئك عن العمل والشرع، فَضَلَّ كل منهما من هذين الوجهين، وتباينوا تباينًا عظيمًا، حتى أشبه هؤلاء اليهود المغضوب عليهم، وأشبه هؤلاء النصارى الضالين، بل صار منهما من هو شر من اليهود والنصارى، كالقرامطة والاتحادية وأمثالهم من الملاحدة الفلاسفة)[51] .

وقال ابن القيم (وأما علم من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتقيد بهما : **فهو من لدن النفس والهوى والشيطان** فهو لدني لكن من لدن من وإنما يعرف كون العلم لدنيا رحمانيا : بموافقته لما جاء به الرسول عن ربه عز وجل فالعلم اللدني نوعان : لدني رحماني ولدني شيطاني بطناوي والمحك : هو الوحي ولا وحي بعد رسول الله)[52]

وقال ابن القيم (وأما **قصة موسى مع الخضر عليهما السلام : فالتعلق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني إلحاد** ، وكفر مخرج عن الإسلام موجب لإراقة الدم ، والفرق : أن موسى لم يكن مبعوثا إلى الخضر ولم يكن الخضر مأمورا بمتابعته ، ولو كان مأمورا بها لوجب عليه أن يهاجر إلى موسى ويكون معه ،ولهذا قال له : أنت موسى نبي بني إسرائيل قال : نعم ، ومحمد مبعوث إلى جميع الثقلين فرسالته عامة للجن والإنس في كل زمان، ولو كان موسى وعيسى عليهما السلام حيين لكانا من أتباعه وإذا نزل عيسى ابن مريم عليهما السلام فإنما يحكم بشريعة محمد

فمن ادعى أنه مع محمد كالخضر مع موسى أو جوز ذلك لأحد من الأمة : فليجدد إسلامه وليتشهد شهادة الحق فإنه بذلك مفارق لدين الإسلام بالكلية فضلا عن أن يكون من خاصة أولياء الله وإنما هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوابه وهذا الموضع مقطع ومفرق بين زنادقة القوم وبين أهل الاستقامة منهم)[53]

---

[51]) مجموع الفتاوى ج13 ص 245
[52]) مدارج السالكين ج2 ص 476
[53]) مدارج السالكين ج2 ص 476

قوله (قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا)(66) قال ابن كثير (سؤال بتلطف ، لا على وجه الإلزام والإجبار)[54] ، وقال ابن جزي (مخاطبة فيها ملاطفة وتواضع وكذلك ينبغي أن يكون الإنسان مع من يريد أن يتعلم منه)[55] ، وأول هذا التلطف أن عرض عليه خدمته ، فقد كان أنس ابن مالك يخدم رسول الله ﷺ ، كما كان يوشع بن نون يخدم موسى عليهما السلام

والشواهد علي ذلك من سير الصالحين والعلماء كثيرة ، نذكر منها :-

- **موقف ابن عباس مع زيد بن ثابت** :أخذ الحَبْر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (وهو من آل بيت النبي ﷺ) بركاب دابة زيد بن ثابت (عالم المدينة) ليقودها له، فقال له زيد: "تنحّ يا ابن عم رسول الله"، فقال ابن عباس" :**هكذا أُمِرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا**"، فقبّل زيد يد ابن عباس وقال: "وهكذا أُمِرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا[56]."
- **موقف الإمام الشافعي مع الإمام مالك** :يقول الشافعي عن شدة هيبته وتأدبه في مجلس شيخه مالك" :**كنت أتصفح الورق بين يدي مالك تصفحاً رفيقاً هيبة له؛ لئلا يسمع وقعها**"، وكان يخدمه بالاستماع التام والامتثال لتوجهاته.
- **موقف الإمام مسلم مع الإمام البخاري** : جاء الإمام مسلم إلى البخاري فقبّل بين عينيه وقال له" :**دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله**"، مبيناً بذلك أعلى درجات التوقير والخدمة النفسية واللفظية لشيخه.
- **موقف الربيع بن سليمان مع الشافعي**: يقول الربيع "تلميذ الشافعي" :(**والله ما جَسرتُ أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليّ هيبة له**).

وفيه دليل على **جواز المقايضة حتى في طلب العلم** ، ذلك أن المعلم لا يتسع له الوقت كله لأن يمضي في التعليم دون أن يعمل ويكسب ، فكان في إعانة المتعلم للعالم بشيء من الخدمة ما قد يساعده علي مواصلة وظيفته في تحصيل العلم وتعليمه للناس ، ولهذا قايض موسى الخضر علي أن يتبعه أي علي أن يخدمه مقابل أن يعلمه ، قال الرازي (فأثبت كونه تبعاً له أولاً ثم طلب ثانياً أن يعلمه ، وهذا منه ابتداء بالخدمة ثم في المرتبة الثانية طلب منه التعليم ، فلم يطلب —موسى– على تلك المتابعة —الخدمة– شيئاً كان قال لا أطلب منك على هذه المتابعة المال والجاه ولا غرض لي إلا طلب العلم)[57].

قوله (قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) (67) يتضح منه أن الخضر –عليه السلام– استشرف عاقبة الأمور بما أودع الله فيه من فراسة صادقة، وقراءة للقرائن الظاهرة، أو بما أوحاه الله إليه وعلمه إياه؛ فأدرك أن موسى –عليه السلام– لن يطيق صبرًا على مرافقة عالمٍ لم يُحط بظواهر أفعاله علمًا.

---

[54]) تفسير ابن كثير ج5 ص 181
[55]) التسهيل لعلوم التنزيل ج1 ص 960
56) أخرجه ابن عساكر (326/19) .[كنز العمال 37061] . انظر جامع الأحاديث للسيوطي ج35 ص 48 ، الدينوري : المجالسة وجواهر العلم ج1 ص 288 ، ابن كثير في البداية والنهاية ج8 ص 331 وذكره الشيخ مصطفى العدوي واستشهد به في دروسه 49 / 10
[57]) تفسير الرازي ج10 ص 232

وقد برر الخضر متواضعا سبب تحذيره موسى من عدم الصبر فقال (يَا مُوسَى **إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لَا أَعْلَمُهُ**)[58]

فهذا الضرب من العلم اللدنيّ يستلزم صبرًا من نوع خاص، لا سيما وأن جِبلّة موسى –عليه السلام– تدفع به نحو الغيرة الغامرة على الحق وسرعة الانفعال إن رُئي ما يخالفه؛ وهي طبيعةٌ تجلّت في مواقف شتى، كأخذه برأس أخيه يجره إليه وإلقائه الألواح عند مواطن الحساب وتحمل المسؤولية.

بيد أن هذا الانفعال لا ينفي صفة الصبر عن كليم الله في مَقام الدعوة والرسالة؛ فقد ضرب أروع الأمثلة في الاحتمال ومجاهدة أذى قومه، حتى إن النبي ﷺ تذكره في مواطن الإيذاء متأسيًا به ومترحمًا عليه حين قال (رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ) [59].

ومع ذلك، فإن مقام "مرافقة الخضر" لم يكن مقام دعوة، بل كان مقام "فضولٍ معرفيّ وشغفٍ بالاستكشاف"، ولم يكن الصبر المطلوب فيه إيجابيًا بالسعي والعمل، بل كان صبرًا سلبيًا بالكف والامتناع، وهو أشد ألوان الصبر على النفس التوّاقة. فكأنما كاد موسى يتقطع غيظًا وهو يرى أمورًا تنكرها العقول بظاهرها، ثم يُؤمر ألَّا يسأل عنها أو يستفسر. وهذا الشغف الإنساني بالمعرفة، والفضول المحفوف بالنهي، يُذكرنا بوجوه الشبه بما جرى لآدم –عليه السلام– حين حركه فضول المعرفة والتطلع إلى ما نُهي عنه، فلم يقو على مقاومة الرغبة في الأكل من الشجرة، فكان ذلك سبب خروجه من الجنة.

إن العقل البشري، مهما بلغ من الاتساع والشغف، يظل عاجزًا عن الإحاطة بكنه الحكمة الإلهية في تدبير الكون. فكأن الخضر بلسان الحال يقول له :يا موسى، لقد ألقتك أُمُّك في اليمّ رضيعًا فما غَرِقت، وتربيت في قَصرِ عدوكَ اللدُودِ فِرعَون فما هَلِكت، وجَرتْ عليكَ تصاريف الأقدارِ الإلهيةِ العجيبة فما ضِعت؛ ومع ذلك، فإنكَ لن تَستطِيعَ بحدود بَشريتكَ أن تَفهمَ طوايا أقدارِ اللهِ الخفية، ولن تتصورَ روعةَ تدبيرِهِ المحكم، ولن تستوعبَ عُمقَ لطفهِ الدقيق، ولن تتخيلَ سِعةَ رحمتِهِ وجلال حِكمتهِ جلَّ وعلا، فاحتمِل غيبَ ما لم تُحِط به خُبرًا: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾

ففي قول أبي هريرة (حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وِعَاءَيْنِ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ) [60] لدليل على أن معه وعائين من العلم ، فهو يحدث الناس بأحدهما ويكتم الآخر ، امتثالا لقول علي بن أبي طالب (حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) [61]، من هنا جاء إشفاق الخضر على موسى أن يحدثه ما لا يقدر العقل عن استيعابه .

وقد حمل بعض العلماء الوعاء الذي لم يحدث به على إفشاء أسرار المنافقين ، فقال الحافظ ابن حجر رحمه الله " حمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم ، وقد كان أبو هريرة يكني عن بعضهم ولا يصرح به خوفا على نفسه منهم ،كقوله : أعوذ بالله من رأس الستين ، وإمارة الصبيان ،

---

[58]) رواه البخاري ج1 ص 207 رقم 119
[59]) رواه البخاري ج10 ص 403 رقم 2917
[60]) رواه البخاري ج1 ص 203 رقم 117
[61]) رواه البخاري ج1 ص 217 رقم 124

يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية ؛ لأنها كانت سنة ستين من الهجرة ، واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة)[62]

وقد رجح الشيخ محمد رشيد رضا أن يكون هذا الوعاء مختص بأحاديث الفتن وفساد الزمان فقال: (**والذي عليه المحققون أن أبا هريرة يعني بما كتم من الحديث أحاديث الفتن ، وما يكون من الفساد في الدين والدنيا** ، مثلما ذكر من إفساد أغيلمة من سفهاء قريش ، وهم بنو أمية)[63]

(وأما **قول بعض غلاة الصوفية** أن ما أخفاه أبو هريرة من العلم هو العلم الباطني الذي يشتمل على وحدة الوجود : فهذا كلام باطل من وجوه كثيرة)[64]

قال الشيخ محمد رشيد رضا (فجهلة المتصوفة يزعمون أن عندهم من علم الحقيقة من قبيل الوعاء الآخر من وعاءي أبي هريرة ، وبعضهم يظن أن لشيوخهم سندا في تلقي علم الباطن ، ينتهي إلى بعض الصحابة أو أئمة آل البيت عليهم الرضوان)[65].

ولعل الراجح أن الوعاء الذي كتمه أبو هريرة أنه يختص **بالعلم الذي يصادف الحقيقة دون إخلال بقواعد الشريعة** ، كما هو حال الخضر ، فقد كان يعلم حقيقة غصب السفينة ، وكذلك كفر الغلام وإرهاق والديه الصالحين ،وكنز اليتيمين ،فتصرف وفقا لقواعد الشريعة بما علم من الحقيقة ، **والشريعة هي الحقيقة ولا حقيقة غيرها** .

وقال بعض الصوفية أن المراد بالأول –أي الاول من الوعائين– علم الأحكام والأخلاق

وبالثاني علم الأسرار المصون عن الأغيار المختص بالعلماء بالله من أهل العرفان

وهو نتيجة الخدمة وثمرة الحكمة لا يظفر بها إلا الغواصون في بحار المجاهدات ولا يسعد بها إلا المصطفون بأنوار المجاهدات والمشاهدات إذ هي أسرار متمكنة في القلوب لا تظهر إلا بالرياضة وأنوار لامعة في الغيوب لا تنكشف إلا للأنفس المرتاضة)[66]

فرد عليهم بعض أهل العلم (نعم ما قال ، لكن **بشرط أن لا تدفعه القواعد الإسلامية ولا تنفيه القوانين الإيمانية إذ ما بعد الحق إلا الضلال**)[67]

في قوله تعالى (وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا) تتجلى حقيقةٌ تربوية وتشريعية عميقة؛ فالعلم بمالات الأمور وخفاياها هو أساس الثبات ومفتاح الأناة .وقد لخص الإمام ابن كثير هذا المعنى بعبارة بليغة موضحاً أن المرء إنما يحكم على ظاهر ما يرى من موازين العدل المشهودة، بينما تحجَب عنه غيوب المقادير المحجوبة[68]. ويُعمّق الألوسي هذا الملمح مبيناً أن العبد الصالح—ولا سيما إن كان مبلّغاً عن الله ككليم الله موسى عليه السلام—لا يملك إلا أن تضيق

---

[62]) فتح الباري لابن حجر ج1 ص 216
[63]) تفسير المنار ج6 ص 390
[64]) https://islamqa.info/ar/answers/147659/
[65]) تفسير المنار ج6 ص 390
66) يذكر كبار الشُرّاح (مثل الإمام بدر الدين العيني في *عمدة القاري*، والإمام ابن حجر العسقلاني في *فتح الباري*، والإمام الكرماني في الكواكب الدراري) هذا النص بصيغة التمريض أو النقل عن طائفة الصوفية
67) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج3 ص 365 : بدر الدين العيني الحنفي
[68]) تفسير ابن كثير ج5 ص 179

نفسه وتشمئز جوارحه عند معاينة ما ينكره ظاهراً، لما جُبل عليه من الغيرة والحِدّة في الحق، وهي الغيرة ذاتها التي دفعته يوماً للأخذ برأس أخيه يجره إليه[69].

إن إنكار المنكر جبلة راسخة في نفوس الصالحين، غير أن "فقه السياسة الشرعية" يرتقي بالمؤمن ليتغاضى عن أدنى المفسدتين جليّاً، استبقاءً لأعظم المصلحتين خفيّاً؛ تقديماً لدرء المفاسد على جلب المصالح، وارتكاباً للضرر الأخف لدفع الضرر الأكبر. ومَن حُرم هذا الفقه الدقيق والموازنة البصيرة، زاغت عنه مقاصد الشريعة، فربما سعى في هدمها وهو يحسب أنه يُشيد أركانها.

فهذا موسى عليه السلام قد خفي عليه شأن قومه عندما تركهم مع أخيه هارون وذهب إلى جبل الطور فرحا مسرعا لملاقاة ربه ، وقد أنزلت عليه التوراة ، فمن عجلته وفرحه بلقاء ربه ترك قومه خلفهم ، وهو لا يدرك حجم الفتنة التي تركها وراءه ، فأضلهم السامري وعوتب في ذلك بقوله تعالى (وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى (طه 83) قَالَ هُمْ أُولَاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (طه 84) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (طه 85) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي (طه 86)

ولنا كذلك في السيرة العطرة شواهد ناطقة؛ منها ما كان من أمر أبي ذر الغفاري—رضي الله عنه—حين ملكته حمية الحق وغلب عليه الشوق للإعلان بالتوحيد، فلم يطق كتماناً ولا صبراً، رغم توجيه النبي ﷺ الشفيق له: «يا أبا ذر، اكتم هذا الأمر وارجع إلى بلدك...» [70]. فمضى يصرخ بالشهادة بين ظهران قريش حتى أوجعوه ضرباً وكادوا يفتكون به لولا غياث العباس له.

لقد كان المصطفى ﷺ يدير بحكمة النبوة وعمق البصيرة مآلات الدعوة، موقناً أن رسالته لم تأتِ لطلب المواجهة وإشعال الحروب، بل لتبليغ الحجة بالحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، مرجئاً الصراع المادي إلا أن تدعو إليه ضرورة قاهرة، وبقدر تلك الضرورة لا يزيد.

ولو تخيلنا—على سبيل الافتراض—أن ثأر الشهيدة "سمية" أم عمار بن ياسر قد وُكل يومئذٍ إلى حمية أبي ذر وجرأته، لربما جرت دماء وسُلت سيوف قبل أوانها، ولكن حكمة الله النافذة كبحت عواطف الصحابة، وحفظت حماستهم في تلك الحقبة الحرجة؛ لتتجلى ثمرة ذلك الصبر النبوي لاحقاً في يوم الفتح العظيم، حين دلف الناس في دين الله أفواجاً، وأسلمت قريش عن بكرة أبيها، لتتحول سيوف الأمس التي طعنت سمية، إلى دروع تحمي راية الإسلام وتذود عنها.

قوله (قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) (69) وهنا أدب تضمن تعليق المشيئة الإلهية قبل العزم على فعل شيء ، فهو قبل أن يعده بالالتزام بالصبر قدم المشيئة ، تلك التي تغافل عنها صاحب الجنتين ، قال رسول الله ﷺ (وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ **وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ** ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ **عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ**)[71]، من الحديث نفهم أن الصبر بالتصبر ، ولا يكون ذلك إلا بالاستعانة بالله .

---

[69]) تفسير الألوسي ج11 ص 337
[70]) رواه البخاري ج11 ص 349 رقم 3261
[71]) رواه البخاري ج5 ص 318 رقم 1376

لقد عقد موسى عليه السلام العزم الشديد على اتباع الخضر والالتزام التام بنهجه دون شق عصا الطاعة أو عصيان أمره، وفي هذه التبعية الواعية أبلغ دلالة على نبوة الخضر؛ إذ إن مقامه اللدني اقتضى ريادة استثنائية في تلك الرحلة، فرغم أن موسى كان نبيًا مرسلًا إلى بني إسرائيل خاصة، إلا أنه عند اجتماع نبيين في مسير واحد، فلا بد أن تؤول القيادة لأحدهما حقًا وعدلًا. ومن هنا، كانت الإمارة للخضر بوصفه حائزًا من العلم ما لم يحط به موسى، وهو أمر قد علم به كليم الله سلفًا بوحي وإخبار من الحق سبحانه.

ولما كان معهما يوشع بن نون، فقد تحول المسير إلى رفقة ثلاثية توجب – بالضرورة – أن يأتمر بعضهم بأمر بعض، تنزيلًا للتوجيه النبوي الشريف (**إِذَا كَانَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ**)[72] .وقد أفاض العلماء في بيان حكمة هذا الحديث، موضحين أن هذه الإمارة إنما شُرعت لتنظيم شؤون الرفقة؛ ليكون الأمير مرجعًا لهم في حلهم وترحالهم، وملاذًا للاستئذان والمشورة عند رغبة أحدهم في الانفصال لحاجة أو التخلف لغرض، وبذلك تلتئم شمل الجماعة ولا يتفرق بهم السبل، فلا يغدو كل امرئ أمير نفسه، ولا يمضي الواحد منهم لغايته دون علم صاحبيه. وليست هذه الإمارة ولاية سلطانية يترتب عليها إقامة حدود أو أحكام عامة، بل هي تدبير حكيم يضبط أحوال السفر ارتحالًا ونزولًا.[73]

ومما يستوقف اللبيب في النص النبوي قوله: «**فليؤمروا أحدهم**»، وهو ملمح دقيق يشير إلى أن الأمير لا يشترط فيه أن يكون أفضل الجماعة رتبة أو أعلاهم فضلًا، بل المدار على أهليته لتحمل المسؤولية وإدارة الشأن. فإذا كان المشرّع الحكيم قد حرص كل هذا الحرص على ألا تخلو عصبة من ثلاثة في فجاج الأرض من قائد يدبر أمرها، فما الظن بقطاعات المجتمع الحيوية ودوائره الكبرى؟ إنها بلا شك أحق بالتنظيم وأولى بتعيين المدبر والمدير.

وفي هذا السياق، يؤكد الشيخ ابن جبرين أن الغاية من إقامة هذا الأمير هي الرجوع إليه والاستئارة برأيه، وفي ذلك تربية عملية وحث بليغ للأمة على رعاية السمع والطاعة لولاة أمورهم.[74]

ومن جماع هذه الإشارات، يتبدى لنا بوضوح مدى حرص الإسلام على صهر أتباعه في كنف جماعات منظمة، تتآلف في بنيانها الصغير لتصب في نهر الجماعة الأم؛ حتى يغدو المسلمون في عين الوجود بنية متماسكة وكيانًا مشهودًا، لا آحادًا متفرقين في دروب الحياة بلا رابط أو نظام[75].

وفي قوله (قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) (70) تأصيلًا لمنهجية التلقي والأدب مع العلماء، لتضع ميثاقًا تعليميًا فريدًا. فالخَضِرُ عليه السلام لم يحظر على موسى عليه السلام السؤال مطلَقًا، ولم يحرمه حق الاستفصال، وإنما نهاه عن عجلة المبادرة بالسؤال قبل أوانه وبلوغ إذن المعلم .لقد كان هذا شرطًا تأسيسيًا لصُحبَةٍ علمية تُعنى بالجانب التطبيقي والمنهجي، لا المجرد النظري والتأصيلي؛ ذلك أن العلم النافع يُورَث بالاتباع والاقتداء، قبل أن يُلقَّن بالبراهين والاقناع.

إن جوهر الاتباع يكمن في الانسلاخ من الابتداع، وهو ما رسّخه النبي ﷺ بقوله (**صلوا كما رأيتموني أصلي**) فمهما استوعب المسلمون أحكام الصلاة نظريًا، فلن يدركوا أسرارها ويذوقوا حلاوتها إلا بالامتثال العملي الذي يُجسّد معاني الخشوع والسكينة طاعةً واقتداءً.

---

[72]) رواه أبو داود ج7 ص 187 رقم 2242 وصححه الألباني : السلسلة الصحيحة المجلدات ج3 ص 396 رقم 1322
[73]) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد ج 14 ص 90
[74]) شرح العقيدة الطحاوية لابن جبرين ج3 ص 91
[75]) الشيخ علي بن نايف الشحود : المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام ج14 ص 330

ومن أرفع آداب التعلم التطبيقي أن يتأنى التلميذ، فلا يستعجل شيخه بالاعتراض أو الاستفسار حتى تكتمل الدورة التعليمية وتتضح معالم الموقف. بيد أن هذه الطاعة وهذا التمهل محكومان بالثقة، وللثقة في المنهج الإسلامي حدود صلبة حدّها الشرع الحنيف؛ فإذا بدا من تصرفات المعلم ما يخالف الشريعة في عين المتعلم، وجب عليه الاستيضاح، وهو عينه المأخذ الذي تعجّله موسى عليه السلام مدفوعًا بغيرته على الحق، ولم يُطق عليه صبرًا قبل أن يأذن له المعلم بتأويله.

وهنا تبرز قضية محورية بالغة الخطورة :ميزان الثقة بين الشيخ وتلميذه .فلو كان المعلم فاقدًا للأهلية وصاحب هوى، لتحولت تلك الثقة المطلقة إلى أداة إفساد ومظلة للتبعية الزائفة. أما إن كان ربانيًا متمسكًا بحدود الشرع، غدت ثقة المتعلم في محلها الصحيح. ومن هنا حذر النبي ﷺ أمته قائلًا **(وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ)**[76] .

فبينما يُطالَب المعلم بالفراسة والعمق في استنباط الأحكام من محكم الكتاب والسنة وفهم واقع الأمة، يُطالَب طالب العلم المقابل بامتلاك فراسة ناقدة تُقيّم أهلية الشيخ وسلوكه وهديه قبل الارتحال إليه، تصديقًا لمأثور الإمام محمد بن سيرين **(إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم)**. [77]

قوله (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) (71) ففي الحديث (فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ كَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُ بِغَيْرِ نَوْلٍ فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ جَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ قَالَ لَهُ الْخَضِرُ يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنْ الْبَحْرِ إِذْ أَخَذَ الْفَأْسَ فَنَزَعَ لَوْحًا قَالَ فَلَمْ يَفْجَأْ مُوسَى إِلَّا وَقَدْ قَلَعَ لَوْحًا بِالْقَدُّومِ فَقَالَ لَهُ مُوسَى مَا صَنَعْتَ قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ، فَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا)[78].

تتجلى من الآية ، وما واكبها من السياق النبوي الشريف في الحديث، معالمُ المنهج الشرعي في التعامل مع ظواهر الأمور. فعند التأمل في هذا الموقف الشرعي، قد يتساءل الناظر: ما الذي كان يسع نبي الله موسى عليه السلام أن يفعله غير الإنكار؟

والجواب أن إنكار موسى عليه السلام إنما كان انطلاقاً من وجوب الحكم بالظاهر الذي هو أصل التشريع الإلهي للأنبياء والبشر .بيد أن سياق الإنكار احتمل نوعاً من الاستعجال في استنباط الغاية والباعث؛ حيث ظن الكليم – بحسب الظاهر المشاهد– أن الفعل يؤول إلى إغراق أهل السفينة، فوصف الصنيع بأنه "إمر"؛ أي أمراً عظيماً منكراً. وهذا المسلك في التحليل المبني على ظاهر الحدث غاب عنه الباطن المستور الذي استأثر الله بعلمه وأطلع عليه الخضر. وهو شبيه من حيث الاعتماد على الظاهر بقول ﷺ: «إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو مما أسمع منه) [79].

---

[76]) رواه أبو داود ج11 ص 322 رقم 3710 وصححه الألباني : ج9 ص 252 رقم 4252

[77]) رواه مسلم ج1 ص 33

[78]) رواه البخاري ج11 ص 202 رقم 3149

[79]) رواه مسلم ج9 ص 102 رقم 3231

وإغراق السفينة لا يلزم منه موت من على متنها ، فالسفينة لا تغرق بتسرب الماء إليها إلا بعد فترة زمنية طويلة ، قد تصل إلى ساعات ، مما يكفي لنزول الناس منها في قوارب ، فلما رأى موسى منه إفساد المال قال لقد جئت شيئا إمرا ، أي منكرا عظيما .

غير أن ميزان أهل السنة والجماعة يقتضي تنزيه مقام الأنبياء عن أوصاف السوء؛ فلا يُقال إن موسى عليه السلام "اتهم الخضر بنية إجرامية" أو "سبق إصرار"، بل يقال :إن موسى عليه السلام غلبت عليه الغيرة الشرعية، وحمل الأمر على مقتضى ظاهر الفساد المادي المشاهد، وهو خرق سفينة المساكين الذين أحسنوا إليهما.

ولم يكن صنيع موسى عليه السلام مجافياً لأصل الإنكار، بل إن عجلته في نكير الأمر كانت مدفوعة بقوة الغضب لله ورعاية حقوق العباد، وهي جبلة طبعية شهدتها مواقف أخرى كإلقاء الألواح. ومن هنا يؤخذ الأدب الشرعي: أن الغضب لله تعالى –وإن كان محموداً ومطلوباً عند انتهاك الحرمات في الظاهر– ينبغي أن يُحاط بالصبر الجميل، وألا يحجب التروي والاستيضاح؛ فالسؤال والفهم هما مفتاح حل المشكلات، والتحلي بالأناة مئنة لتلقي العلم ودفع الاستعجال في الأحكام.

قوله (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) (72) هذا عتابُ المعلّم المشفق لتلميذه، وتذكيرٌ له بالعهد السالف، مع التجاوز عنه في أول بادرة؛ فالخطأُ في مطلع الطلب مظنّة القبول، لاسيما وأنّ آفة العلم النسيان. ومِن الطبيعيّ أن يعزبَ عن ذهن موسى –عليه السلام– ذلك الشرطُ الذي ضربه الخضرُ عليه. ولم يكن هذا العتابُ للإعنات أو الاستفاضة، بقدر ما كان تذكيراً وتعليماً؛ خاصةً وقد أبصر الخضرُ اندفاعَ موسى في النكير، إذ كان حَسْبُ الكليمِ أن يستفسرَ عن المسألة استعلاماً واطمئناناً، لا أن يشتدَّ نكيراً لقلّة الصبر. ومِن حُسن الأدب التربويّ أن يصفحَ المؤدب عن الهفوة ويُحاسبَ على الأخرى تيسيراً على تلميذه؛ تمثُّلاً بالمسلك القرآني في قوله سبحانه(**عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ**)

قوله (قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ) (73) قَالَ رَسُول الله ﷺ (كَانَتِ الأولى مِنْ موسى نسياناً)[80] ، وهكذا يكون الغضب سبب للنسيان [81]، ويكون النسيان آفة للعلم ، يقول ابن رشد (ومما يفعل الغضب النسيان للأَشياءِ المهمة عندك حفظها)[82] ، قال الحجاج (العرب تزعم أن لكل شيء آفة ، قال الغلام :صدقت العرب أصلح الله الأمير ، قال **فما آفة الحليم؟ قال الغضب ، قال: فما آفة العقل؟ قال العجب ، قال فما آفة العلم؟ قال النسيان**)[83] ، قال ابن الجوزي قيل أن معنى إذا نسيت إذا غضبت قاله عكرمة قال ابن الأنباري وليس ببعيد لأن الغضب ينتج النسيان)
84

فموسى نسي أن الخضر معلمه ، وأن الله أمره باتباعه ، وأنه أعلم منه ، ما إن تذكر جدد الثقة فيه مرة أخرى واعتذر عن إتهامه له .

---

[80]) تفسير ابن أبي حاتم ج9 ص 216
[81]) https://www.alyaum.com/articles/6077645الأخبار /منوعات/التوتر والغضب المفرط يبيان فقدان الذاكرة دراسة كشف عنها استاذ جراحة المخ والأعصاب بكلية طب القصر العيني بالقاهرة د محمد لطفي
[82]) تلخيص الخطابة ج1 ص 58
[83]) اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج1 ص 79 ابن العماد : شذرات الذهب ج1 ص 94
[84]) زاد المسير ج5 ص 128

قوله (..وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا) (73) قال القاسمي أي (لا تعسِّر عليَّ متابعتك ، بل يسِّرها عليَّ ، بالإغضاء وترك المناقشة) ، وفي ذلك تذكير بأدب إسلامي أشار إليه قول النبي ﷺ (**اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ**)[85].

قوله (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا) (74) وتلك هي الثانية من موسى ، أي الموقف الثاني الذي عجز فيه موسى –عليه السلام– عن الصبر؛ إذ دهمته دهشة عارمة وتملكه ذهول شديد وهو يشاهد الخضر يُنهي حياة غلام غرير لم يبلغ الحلم، ولم يجرِ عليه قلم التكليف بعد، مما يجعل قتله في ظاهر الأمر خطيئة كبرى لا مبرر لها.

وفي هذا الموقف، لم يكن إنكار موسى مستنداً إلى ظن أو التماسٍ لباعث خفي، بل انطلق من معاينةٍ بصرية لأدلة مادية قاطعة الدلالة على حدثٍ مفجع. ولذلك، جاء حكمه حاسماً ومباشراً دون التفاتٍ للنيات. وفي توجيه هذا الموقف، يذكر **الشيخ أبو بكر الجزائري** في تفسيره "أيسر التفاسير» :"**ولم تكن هذه نسياناً من موسى بل كان عمداً، لأنه لم يطق فعل منكر كهذا لم يعرف له وجهاً ولا سبباً**" .[86]

وعند تحليل هذا السلوك الإنساني من نبي الله موسى، نجد أن اعتراضه هذه المرة لم يكن وليد اندفاعٍ عاطفي مجرد، ولا ناتجاً عن سوء ظن، بل كان الدافع إليه هو "عِظَم الجناية"؛ إذ لا يستسيغ عقلٌ سويّ إزهاق نفس بريئة عمداً بغير حق، فكيف إذا كانت هذه النفس لطفل صغير؟ من هنا، جاءت عبارة الإنكار في هذه المرة أشد تقريعاً وأقوى سبكاً من المرة الأولى؛ فقال (لقد جئت شيئاً نُكراً)، لأن الجريمة هنا أصابت النَّفْس البشريّة، وهو أمرٌ لا يمكن تداركه أو إصلابه، بخلاف خرق السفينة الذي كان عيباً مادياً يسهل رتقه. وهو ما يؤكده **الإمام ابن عجيبة** في تفسيره "البحر المديد" بقوله : (**مُنكرًا، أي: أنكرُ من الأول، إذ لا يمكن تداركه، كما يمكن تدارك الأول بالسد ونحوه**) [87].

إن هذا المشهد يبرز الفجوة بين شريعة الظاهر المبنية على الأسباب المادية، وبين حقيقة القدر المحجوبة بحجب الغيب. فالأدلة الظاهرة قد تبدو أحياناً على خلاف الحقيقة الباطنة، والعقل البشري يقصر بمفرده عن استيعاب أسرار التدبير الإلهي؛ ليبقى اليقين بأن قدر الله وقضاءه –وإن غابت حكمته عن العباد– هو محض الخير والرحمة، وأن تدبير العبد قاصر لا يستقل أبداً عن تدبير الله المحيط.

ومن لطائف هذه القصة، يتضح لنا أن ما حال بين موسى وبين الصبر في المرة الأولى كان "النسيان"، وهو عارضٌ من عوارض الأهلية الطارئة، بينما حال بينه وبينه في المرة الثانية "العاطفةُ والرحمة" الجبلّية التي ثارت في نفسه إزاء مشهد الغلام. وتُعد العاطفة في مقام التحصيل المعرفي آفةً تحجب العقل عن النظر التجريبي المجرد؛ فطالب العلم يلزمه أن يتجرد من الهوى والميل القلبي ليأتي استدلاله ناصعاً وخالياً من المؤثرات الذاتية[88].

---

[85]) رواه مسلم ج9 ص 351 رقم 3407

[86]) أيسر التفاسير ج2 ص 394

[87]) البحر المديد ج3 ص 422

[88]) وهذا ما يقرره علماء النفس والأعصاب حديثاً؛ إذ يرى **العالم النفسي دانيال غولمان (Daniel Goleman)** في نظريته الشهيرة حول "الذكاء العاطفي" أن العاطفة قادرة على إحداث ما يسميه**" الاختطاف العاطفي(Emotional Hijacking) "**، حيث تسيطر اللوزة الدماغية (مركز العواطف) على القشرة المخية الحديثة (مركز التفكير العقلاني)، مما يجعل الإنسان يتصرف بناءً على مشاعره الآنية قبل أن يتمكن عقله من تحليل الأبعاد بعيدة المدى.

وتدعم دراسات الرنين المغناطيسي الوظيفي (fMRI) هذا الطرح؛ إذ تؤكد أن الدماغ البشري يعيش نزاعاً مستمراً بين مركز العاطفة الفورية ومركز العقل الإستراتيجي، حيث تتنافس هاتان المنطقتان للتحكم في السلوك عند اتخاذ القرارات المصيرية. كما أظهرت أبحاث عالمة الأعصاب **نـايومي أيزنبرغر Naomi Eisenberger)**أن الألم الناتج عن جرح المشاعر والأحاسيس (كألم الحزن والتعاطف المفجع) هو**" ألم حقيقي "**يستثير نفس المناطق الدماغية (مثل القشرة الحزامية الأمامية) التي تشتعل عند شعور الإنسان بالألم الجسدي تماماً.

فهناك دراسة علمية تؤكد أنَّ (الدماغ البشري يخوضُ نزاعاً دائماً بين مركز العاطفة ومركز العقل، فهنالك منطقتان في الدماغ تتنافسان للتحكم بسلوك شخص ما على وشك اتخاذ قرار بين إشباع العاطفة الفورية وتحقيق الأهداف البعيدة المدى بمركز العقل) ، وهناك دراسة أُخرى أظهرت أنَّ (الألم بسبب جرح المشاعر والأحاسيس هو "ألم حقيقي" كالألم الجسدي تماماً ، فمناطق الدماغ التي تعمل عندما يشعر الشخص بألم جسدي تعمل أيضاً عندما تجرح مشاعر ذلك الشخص)[89].

بناءً على ذلك، فإن عاطفة الرحمة والمشاهدة المفجعة لقتل الغلام قد أحدثت في نفس موسى –عليه السلام– ألماً شعورياً غامراً، تلاشت معه شروط الصبر النظري التي قطعها على نفسه سابقاً، مما يثبت بصورة جليّة كيف تطغى سلطة العاطفة الإنسانية على محاكمة العقل الباردة في مواقف الأزمات الكبرى.

وفي قوله (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) (75) تجلّت –في عتاب الخضر لموسى عليهما السلام – معاني الحلم التربوي؛ إذ أعاد الخضر تنبيه موسى للمرة الثانية مؤكدًا ومذكّرًا، ولم يعاجله بفسخ عقد الصحبة والتعلم.فيرى الإمام الألوسي أن زيادة لفظ" لَكَ "في هذه المرة لم تكن عبثًا، بل جاءت لزيادة المكافحة والمواجهة على رفض الوصية، وعتابًا على قلة التثبت والصبر؛ لا سيما بعد أن تكرر من موسى عليه السلام الاشمئزاز والاستنكار، ولم يرتدع بالتذكير الأول بل زاد إنكاره في المرة الثانية. [90]

أما الإمام ابن عاشور، فقد استنبط من هذا الموقف أصلًا من أصول التعليم المنهجي؛ **يوجب على المعلم تنبيه المتعلم إلى ما قد يعترض طريقه من مشاق وصعاب** في موضوعات العلوم الملقنة.)[91]

وقد جاءت كلمة" صَبْرًا "نكرة في سياق النفي لتفيد عموم الصبر المنفي، كما أن **نفي" استطاعة الصبر** "يدل على أنه لو تجشّم موسى وتكلّف أن يصبر لم يطق ذلك، فأفاد هذا التركيب نفي حصول الصبر منه في المستقبل على آكد وجه وأبلغه.

ويُجلي الإمام القرطبي العذر الكامن وراء هذا العجز البشري عن الصبر، موضحًا طبيعة النفس الإنسانية بقوله : "وكيف تصبر على ما تراه خطأ ولم تخبر بوجه الحكمة فيه، ولا طريق الصواب"؛ لِيُبين أن عدم الصبر هنا كان نتيجة طبيعية لغياب الحكمة الخفية عن عين الرائي[92].

وفي قوله (قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا) (76) وفي هذا المقام، تمثّل الحياءُ نبي الله موسى ـــعليه السلام— من صاحبه الخَضِر، بعد أن تتابع منه العجَلُ وقلّة الصبر في الموقفين الأوّلين؛ فرفع الحَرَج عن صاحبه، وأعفاه من مشقّة احتماله وصحبته إن هو عاد إلى الإنكار مرّة أخرى.

والمتأمّل في مسار هذه الرحلة يجد عذرًا لموسى ـــعليه السلام— في تفاوت إنكاره؛ ففي المرة الأولى (خرق السفينة) كان عذره مبنيًّا على احتمال الخطأ البشري؛ إذ حكَم بظاهر الأمر واسترسل في اللوم دون التثبُّت من مآلات الفعل، وهو أمرٌ يمكن تداركه بالتعلم والمدارسة والتدريب على الصبر والتأني. أما في المرة الثانية (قتل الغلام)، فكان

---

[89]) أمجد الساري : صراع العقل والعاطفة لمن ترجح الكفة https://1-a1072.azureedge.net/blogs/2018/6/6/

[90]) تفسير الألوسي ج11 ص 351

[91]) التحرير والتنوير ج1 ص 2563

[92]) تفسير القرطبي ج11 ص 17

إنكاره أشدّ وموقفه أقوى؛ لأنه شاهد جريمة مكتملة الأركان والتفاصيل أمام عينيه، ولا يبدو في ظاهرها إلّا تحقيق النتيجة الإجرامية المحضة، ومثل هذا الموقف يعزّ على أولي العزم من الرسل تحمُّله أو السكوت عنه. فإذا ما حصلت الثالثة وقد حصلت (بناء الجدار)، فإن موسى يعفي نفسه مسبقا من المتابعة قبل أن يعفيه صاحبه ، صيانةً لعقله وقلبه مما يشاهده من أعاجيب القَدَر الكوني التي لا يحيط بها علمه الظاهر.

قوله (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا) تجلّت صورةُ الحاجة الإنسانية ؛ إذ ألمّ بعبدي اللهِ الصالحَيْنِ –موسى والخضر عليهما السلام– عناءُ السفر ، وإعياءُ الجوع الشديد، ونفادُ الزاد وبلوغ النصب ذروته ، فضاق بهما السبيل ولم يبقَ لهما طاقةٌ على كسبٍ أو عمل. وفي مثل هذه الحال الحرجة، شرع الحقُّ سبحانه لعابر السبيل المنقطع حقَّ الضيافة، ورخّص له في المسألة لدفع غائلة الهلاك، فهما ضيفان شرعًا على أهل تلك المحلّة، يطلبان ما يسدّ الرمق لا ما يوجب الترف.

وممّا استقرّ عليه الفقه الإسلامي : أنّ المسألة وعرْضَ الحاجة على الخلقِ أصلٌ حظره الشرع صيانةً لكرامة المسلم، ولم يُبحه إلا في أحوالٍ استثنائية ضيّقة وضوابطَ محددة على سبيل الحصر والاضطرار؛ رعايةً لمصالح العباد الضرورية وتأمينًا لأهل الحاجة . ومن ذلك ما دلّ عليه التنزيل الحكيم في شأن مصارف الزكاة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالمؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: 60).

وقد جاءت السنّة النبوية المطهرة عاضدةً لهذا الأصل ومبيّنةً لشرائطه؛ فقرر النبي ﷺ حُرمة الصدقة على المستغني بماله أو بقوته، إلا إذا انقطع سبيل وصوله لماله ، قائلًا: «**لا تحلُّ الصدقةُ لغنيٍّ، إلا في سبيلِ اللهِ، أو ابنِ السبيلِ، أو جارٍ فقيرٍ يُتَصدَّقُ عليه فُيُهدِي لكَ**»[93]. وحثّ الشارع الحكيم العبادَ على التعفّف والاعتمادِ على النفقة الشريفة الناتجة عن كدّ اليمين وعرق الجبين، ونفّر من ذلّ السؤال ما وُجد إلى الكسب سبيل؛ تحقيقًا لسيادة الأمة وعزة أفرادها، كما في قوله ﷺ: **(لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ)** [94]

ويظهر هذا المنهج التربويّ النبويّ جليًّا في توجيهه ﷺ لمن أصابته فاقة وله قدرة على العمل، كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟ قَالَ: بَلَى، حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنْ الْمَاءِ. قَالَ: ائْتِنِي بِهِمَا. قَالَ: فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ وَقَالَ: مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟ قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ. قَالَ: مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ؟ (مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا)، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ. فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ، وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ وَقَالَ: اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ. فَأَتَاهُ بِهِ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُودًا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ: اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ، وَلَا أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا. فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ: لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ» [95].

---

93) رواه أبو داود وصححه الألباني
[94]) رواه البخاري ج8 ص 197 رقم 2201
[95]) رواه أبو داود ج4 ص 449 رقم 1398

فدلّت هذه النصوص المتضافرة على أن الشريعة الغرّاء تَسُدُّ ذريعة التكفّف، وترفع من شأن العمل، ولا تأذنُ في السؤال إلا لضرورةٍ قاهرة لا مَحيد عنها.

قوله (فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا) (77) نلمح أدبًا في الخطاب؛ فلم يُصرّح موسى عليه السلام بالاعتراض المباشر على صنيع الخضر، بل سلك مسلك التلميح والتعريض عبر قوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾. وكان هذا التلميحُ التفاتةً ذكيةً ولطيفةً منه، مدفوعةً بالحاجة والمسغبة، وطمعًا في جُعلٍ يسيرٍ يستعينان به على وعثاء السفر، ويتبلّغان به في مسيرهما.

وهكذا يتجلّى لنا كيف أن التطلّع إلى المتاع العاجل — وإن كان ضرورةً لحفظ الحياة والبقاء — قد يغدو حجابًا يحول دون استكمال نيل العلم والاستمساك بالصبر. فلم يكن طمع موسى عليه السلام استكثارًا من الدنيا، بل كان قوامًا لزاد المسافر، وما يسدّ الرمق فحسب. فقد اجتمعت عليهما لغوب السفر، وضيق ذات اليد، وقسوة أهل القرية الذين أبوا أن يضيفوهما. فلم يجد موسى عليه السلام بدًّا من السعي وراء كسبٍ مشروعٍ لقاء عملٍ بَذلا فيه جهدًا، إذ إن إقامة الجدار المشرف على السقوط قد وفّرت لصاحبه منفعةً وإثراءً يستحقان العوض.

بيد أن موسى عليه السلام كان محجوبًا عن الغيب، جاهلًا بأن الجدار لغلامين يتيمين لا يملكان من حطام الدنيا شيئًا، فلم يتّسع صبره لانتظار الحكمة، وعجّل بطلب الأجر، قبل أن يتريّث ليفصح له الخضر عن سرّ صنيعه، وعن حاجة اليتيمين لمن يحفظ مالهما دون مقابل.

قوله (قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ) هنا وقع الشرط الفاسخ لعقد الصحبة والمتابعة ، فأضحى الخضر في حل من أن يتبعه موسى ويعلمه مما يعلم من علوم هو أعلم بها منه ، فالعلم له أهله ، وموسى لم يكن أهلا لتحمل وعاء ما لم يعلم ، فعلم الخضر ما يفوق طاقته ، وإن كان أهلا لأن يتعلم علم الشريعة كاملا ، ولذلك صنف البخاري بابا بعنوان (**بَاب مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةَ أَنْ لَا يَفْهَمُوا**) وأورد تحته حديث عَلِيٌّ بن أبي طالب يقول (**حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**) [96] قال بدر الدين العيني الحنفي (أي كلموا الناس بما يعرفون أي بما يفهمون والمراد كلموهم على قدر عقولهم)[97].

ومما لا تدركه العقول قدر الله تعالى ، إذ يقول النبي ﷺ (**إذا ذكر القدر فأمسكوا**)[98] ، قال الشيخ عبد الله الطوالة (فإذا كان موسى عليهِ السلامُ كليمُ الرحمن ورسولٌ من أولي العزم الكرام، إذا كان لم يُطِق صبرًا بأفعالِ الخضر عليه السلام، والذي فَعلَ ما فَعلَ بأمرِ اللهِ تعالى، وليسَ مِنْ قِبلِ نفْسِهِ، فكيف بغيره يصبر على قضاء الله وقدره ، فالقدر سِرُّ اللهُ، وأقدارَ اللهِ تعالى فوقَ إمكانياتِ العقلِ البشري، وأكبرُ من كلِّ تصوراته)[99]

---

[96]) رواه البخاري ج1 ص 217 رقم 124
[97]) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج3 ص 417
[98]) رواه الطبراني في المعجم الكبير ج2 ص 96 رقم 1428 وصححه الألباني : الجامع الصغير ج1 ص 55 رقم 546
[99]) الشيخ عبد الله محمد الطوالة : إنك لن تستطيع معي صبرا ، رابط الموضوع/https://www.alukah.net/sharia/0/140696 :

فعلي المؤمن أن يثِق بلُطف ربه ، ولو لم تنكَشِف حِكْمةُ القَدرِ، فعقل الإنسان لا يستطيع أن يدرك ذلك ، وإنما عليه أن يتيقن بأنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ :﴿ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (هود: 115) [100]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِهِمَا)[101]، فلو صبر وقص علينا من أخبارهما لجاز لهذه الأمة أن تتلقى هذا العلم الذي عند الخضر لكنه لم يكن لموسى ولا لمحمد عليهما السلام.

قوله (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) (78) وعد الخضر موسى بأن يؤوّل-يفسر- له خبر ما حصل من أمور لم يستوعبها عقله ، وذلك لأنه لو تركه على هذا الحال لجعله في حيرة من أمره ، فأجابه قبل أن يسأله ليشفي صدره مما هو فيه ، وفي ذلك خلق وأدب عظيم .

قال العلماء "**لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة**[102] ، وهذا حُكي فيه الاتفاق؛ لأن فيه تكليفَ ما لا يُطاق"[103]، ولم يلبث برهة حتى فصل له الأمر كله دون أن يضطره إلى سؤال أو يتركه في شوق ، وفي ذلك دليل على عدم جواز التلاعب بمشاعر الناس وإحساسهم ولو من باب التشويق أو المزاح .

قوله (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ **فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا** وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) (79) نسب الإرادة لنفسه ، أي أراد هو أن يفعل ذلك ، ما يعني أنه تعامل مع المسألة بمقتضى علم الشريعة ، ومبادئ الشريعة تقضي إزالة الضرر الأكبر بالضرر الأدنى ، فمنع اغتصاب السفينة بإحداث خرق فيها يعيبها ، وهو أمر يمكن إصلاحه بعد ذلك ، وهكذا يكشف الله لعباده الحكمة من قضائه وقدره .

ويبدو من القصة أن علم الخضر بأحوال السفينة وظروف الخطر المحدق بها ليست من أمور الغيب ، فحكاية الملك الذي يأخذ كل سفينة غصبا معروفة بين الناس ، لأنه فعل ذلك سابقا ، وأما كون السفينة لمساكين فهذا يبدو من هيئتها ، فذلك العلم الذي بنى الخضر عليه تصرفه كان نتيجة لفطنته واجتهاده ونظره وتأمله وليس بحاجة لوحي يطلعه على ذلك ، ففي ذلك آية للمتوسمين .

ولنتأمل خرقُ السفينةِ إذا أسقطناه على أحداثِ حَياتِنا، فهو قد يمثلُ فَشلًا لأحدِ مَشاريعنا أو تلفًا لأحدِ ممتلكاتنا، فهو في الظاهِرِ خَسارةٌ مَاديةٌ ، لكِنَّها في الحقِيقَةِ خسارةٌ تَمنَعُ شَرًّا أكبرَ منها ، كما في قوله ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ (النور: 11)، فما ظنَّهُ موسى عليه السلام إسَاءة لمن أحسَنوا إليهما ، هو في الحقِيقَة عينُ الخيرِ والإحسانِ إليهم، فما أحدثه الخضر عليه السلام في السفينة من عيبٍ عَطَّلها، كانَ هو السببَ في وبقائها في مُلكِ أصحابها ليشرعوا في إصلاحها فيما بعد زوال الخطر .

---

[100]) الشيخ عبد الله محمد الطوالة : إنك لن تستطيع معي صبرا ، رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/140696/

[101]) رواه مسلم ج12 ص 89 رقم 4385

[102]) وقد نقل السمعاني الاتفاق على ذلك ، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله ج1 ص 279 ، أنوار البروق في أنواع الفروق ج5 ص 372 ، الأشباه والنظائر لتاج الدين السبكي ، الإحكام للآمدي ج1 ص 245

[103]) غاية السول في علم الأصول على مذهب الإمام المبجل والحبر المفضل أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تأليف جمال الدين يوسف بن حسين بن عبدالهادي المقدسي الحنبلي، تحقيق: بدر بن ناصر بن مشرع السبيعي، ص ٥.
رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/156106/

قوله (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا) (80) وتلك رحمة من الله بالوالدين المؤمنين ، وذلك في مبدأ الأمر هو تقدير من الخضر بما علم من أمرهم ، ولم يكن بعد قد تصرف في المسألة إلا بعدما انكشفت له إرادة الله القدرية بأن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما ، فوافقت إرادة العبد إرادة الله ، فتصرف على وفق ذلك ، وليس لأحد أن يفعل ما فعله الخضر بزعم أنه يعلم إرادة الله الكونية ، لقوله سبحانه (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) (النمل/65) ، فهذا علم اختص الله به عبده الخضر ولم يعلمه لنبيه موسى عليه السلام ، فهو علم لا يعلمه إلا بعض الأنبياء ، ولا نبي بعد محمد ﷺ .

ولعل الله أطلع الخضر على الضرر الذي قد يصيب الصالحين بطريق الإلهام لأنه نسب الخشية لله وله بقوله (فخشينا) ، فكان ذلك الكشف في تقدير الضرر قد حصل له عن طريق الإلهام وليس بالوحي –في أول الأمر – ، ولم يهم بقتله إلا بعد أن صدر الأمر الإلهي بطريق الوحي ، وبذلك يمكن التمييز بين الوحي والإلهام ، فالوحي أمر الله المباشر لأنبيائهم ، أما الإلهام فهو طمأنينة في القلب لفعل معين لا يخالف قواعد الشريعة أو الخوف من حصول شيء يترتب عليه ضرر ، فقوله (فخشينا) إلهام ، فعَنْ عَائِشَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ **مُحَدَّثُونَ** فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ ، قَالَ ابْنُ وَهْبٍ تَفْسِيرُ **مُحَدَّثُونَ مُلْهَمُونَ**)[104].

والضرر الذي خشي "الخضر" من وقوعه كما قال ابن جزي (أن **يحملهما حبه على اتباعه أو يضر بهما لمخالطته مع مخالفته لهما**)[105]، والمعنى أن الله يسخر الصالحين للصالحين ، **ويبعد عنهم الفاسدين ليزدادوا صلاحا** ، لما في الخلطة للفاسدين من أثر سيء على أهل الدين ، هذا هو الأصل وليس بشرط كما في قوله سبحانه (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (البقرة/124) ، وقوله (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) (الفرقان/74) .

وفي ذلك معنى لابد من الانتباه إليه وهو **أن الخلطة بأهل السوء تضر أهل الصلاح** حتى لو كانوا أقربائهم من الأبناء أو الآباء أو الزوجات ، قال ابن القيم (وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من **المخالطة بمقدار الحاجة** ويجعل الناس فيها أربعة أقسام متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينهما دخل عليه الشر :–

أحدها من مخالطته **كالغذاء** لا يستغنى عنه في اليوم والليلة فإذا أخذ حاجته منه ترك الخلطة ثم إذا احتاج إليه خالطه هكذا على الدوام ، وهم العلماء بالله تعالى والقائمين بأمره ،الناصحون لله تعالى ولكتابه ولرسوله ولخلقه فهذا الضرب في مخالطتهم الربح كله .

القسم الثاني من مخالطته **كالدواء** يحتاج إليه عند المرض فما دمت صحيحا فلا حاجة لك في خلطته وهم من لا يستغنى عنه مخالطتهم في مصلحة المعاش وقيام ما أنت محتاج إليه من أنواع المعاملات والمشاركات والإستشارة والعلاج للأدواء ونحوها .

---

[104]) رواه مسلم ج12 ص 118 رقم 4411
[105]) التسهيل لعلوم التنزيل ج1 ص 963

القسم الثالث وهم من مخالطته **كالداء** على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه فمنهم من مخالطته كالداء العضال والمرض المزمن ، وهو من لا تربح عليه في دين ولا دنيا ،ومنهم من كانت مخالطته كوجع الأسنان

القسم الرابع من مخالطته **الهلاك كله** ومخالطته بمنزلة **أكل السم** ،وهم أهل البدع والضلالة الصادون عن سنة رسول الله الداعون إلى خلافها الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا) [106]

قوله (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا) (81) هنا نسب الخضر الإرادة له ولله تعالى ، فقوله (فَأَرَدْنَا) يدل على أنها إرادة مشتركة ، فهي تعني إرادة الله الكونية ، وقد وافق ذلك ما علمه الله للخضر من علوم ليطلع على إرادة الله الكونية التي أحدثها في الغلام بقتله .

وهنا لابد من التأمل في سنة الاستبدال ، **فالله تعالى ينقي ذرية هذين المؤمنين** ، ويفعل ذلك سبحانه لأنهما استسلما لأمر الله في الغلام الذي قتل ، **فمن رضي بقضاء الله أبدله الله خير مما ابتلي به** ،قال رسول الله ﷺ (عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ)[107] ، وهكذا يدبر الله الأمر لهذا الغلام فيميته قبل أن يطغى أو يرهق والديه كفرا ، وكذلك يدبر الأمر لأبواه المؤمنين فيكرمهما بذرية طيبة خير مما ابتليا به ، كل ذلك وهما لا يدركان السر فيما حصل لهما ، والحكمة من قضاء الله وقدره.

قوله (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) (82) هنا نسب الإرادة لله تعالى ، فهو وحده الذي يعلم الحكمة في أن يؤجل اكتشاف الكنز للغلامين ، والحكمة من استخراج كنزهما عندما يبلغا سن الأشد ، وليس للخضر أي علم في ذلك ، كما ورد في الحديث (فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ جَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ قَالَ لَهُ الْخَضِرُ يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنْ الْبَحْرِ)[108]، وهو ما يعني أن علم الله تعالى لا ينفد ، ولا يدركه وعاء حتى الخضر ، وتلك العلوم —والتي احتفظ الله سرها لنفسه– من شأنها حفظ حق هذين اليتيمين ، وذلك كرامة لأبواهما الصالحين ، يقول سبحانه (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) (النساء/9) .

فبناءَ الجِدارِ وحَبسَ الكنزِ هو تمثيل لتأخير الرزق ، وليس ذلك إلا عين المصلحة وكَمالُ التَدبيرِ، قال رسول الله ﷺ« **لاَ تَسْتَبْطِئُوا الرِّزْقَ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَبْدٌ يَمُوتُ حَتَّى يَبْلُغَهُ آخِرُ رِزْقٍ** هُوَ لَهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ مِنَ الْحَلاَلِ وَتَرْكِ الْحَرَامِ »[109]، فبناءُ الجدارِ وإن أَخَّرَ حُصولَ الغُلامينِ على الكنز ، فقد منع اللصوص والمختلسين الوصول إليه ، وبذلك ظل المال في حرز من إساءة الغُلامينِ أنفسهم التصرف فيه ، فهما لا يزالان قاصرِيْنِ ، وليسا براشدين .

---

[106]) بدائع الفوائد ج2 ص 499
[107]) رواه ابن ماجة ج12 ص 38 رقم 4021 وصححه الألباني : صحيح ابن ماجة ج2 ص 373 رقم 3256
108) رواه مسلم سبق تخريجه
[109]) رواه البيهقي في سننه الكبرى ج5 ص 264 رقم 10707 والحاكم 4/2 وصححه الألباني السلسلة الصحيحة6/108رقم2607

قوله (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ..) أي: هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة، إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة، ووالدي الغلام، وولدي الرجل الصالح، فمن تدبَّرَ حِكمة الله في المنعِ والعَطاءِ، عرفَ أنَّ **المنعَ هو عينُ العطاءِ**؛ قال تعالى ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: 216).

قوله (..وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي) **لكني أمرت به ووقفت فيه**، قال ابن كثير (وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر عليه السلام)[110] .

قال ابن عاشور (واعلم أن قصة موسى والخضر قد اتخذتها طوائف من أهل النحل الإسلامية أصلا بنوا عليه قواعد موهومة ، فأول ما أسوه منها أن الخضر لم يكن نبيا وإنما كان عبدا صالحا، وأن العلم الذي أوتيه ليس وحيا ولكنه إلهاما، وأن تصرفه الذي تصرفه في الموجودات أصل لإثبات العلوم الباطنية، وأن الخضر منحه الله البقاء إلى انتهاء مدة الدنيا ليكون مرجعا لتلقي العلوم الباطنية، وأنه يظهر لأهل المراتب العليا من الأولياء فيفيدهم من علمه ما هم أهل لتلقيه..الخ) ، والأية قاطعة الدلالة في نفي ذلك كله وأنه كان نبيا ، فعَنْ قَتَادَة، فِي قَوْلِهِ (**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنِ امْرِي**) ، قَالَ: **كَانَ عبداً مأموراً مضى لأمر الله**"[111] .

قال ابن كثير أي (ما فعلته عن نفسي)[112]، بل إن اجتهاد الخضر في هذه المسائل الثلاث لم يكن إلا في مسألة واحدة

ففي خرق السفينة قال (فأردت أن أعيبها) ، يعني أن ذلك كان اجتهاد شرعي منه مبني على علوم الشريعة التي اشترك فيها موسى والخضر معا ، لكن الخضر تميز على موسى فيها أيضا .

وأما في المرة الثانية فكان اجتهاد منه شرعي بني على إطلاع الله له على تقديره الكوني –وقد وافقت مشيئة العبد مشيئة الله الكونية–كما في قوله (فأردنا أن يبدلهما ربهما خير منه زكاة وأقرب رحما) .

وفي الثالثة كان فعله بأمر من الله دون أي اجتهاد شرعي ، ولا علم كوني في علة ذلك ، لقوله (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما) .

قوله (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) أي ما مضي من أحداث تصرفت فيها على النحو السالف ذكره لم يكن من أمري ، وإنما هو تقدير من الله الرحيم بعباده على ما ظهرت حكمته ، وحذفت التاء في قوله (تسطع) للدلالة على أن المطلوب منه قليل من الصبر ، لكنه لم يفعل ، فلم يصبر حتى قليلا ، ولو فعل لحدث كما قال النبي ﷺ (**وَلَوْ صَبَرَ لَرَأَى الْعَجَبَ**) [113].

---

[110]) تفسير ابن كثير ج5 ص 187
[111]) تفسير ابن أبي حاتم 228/9
[112]) تفسير اب كثير ج5 ص 179
[113]) رواه مسلم ج12 ص 90 رقم 4386

ذلك أن تدبير الله عجيب ، وتدبيره حكيم ، ويتعذر علي العقل البشري أن يستوعب كامل هذه الحكمة ، يقول الشيخ عبد الله الطوالة (فهذه ثلاثُ صورٍ من أعاجيب القدر، يندرُ ألا يصابَ ببعضِها أو كُلِّها بشر

فالصورة الأولى: أن ينكَشِفَ للمصابِ حِكْمَةُ القَدرِ كما في قِصَةِ أصحابِ السفِينةِ

والصورة الثانية : وهي الأغلب ألا ينكَشِفَ للمصابِ حِكمةُ القدر، كما في قِصَةِ الغُلامِ، فأبواهُ لم يَعرِفَا لمَ قُتِلَ ابْنهُمَا، وهذا يتفق مع حكمة الابتلاء

والصورة الثالثة: أن يَسُوقُ اللهُ خَيرًا أو يَصرِفُ شرًّا دُونَ أنْ يدري صاحبه ماذا حدث ، كبناء الجدارِ في قصة اليتيمينِ ، فهما صَغِيرانِ ولم يَعرِفا سِرَّ بناءِ الجدار، وأنَّهُ كانَ على وشكِ السقوطِ، وأنَّ بِناءَهُ سيكونُ سَببًا في حِفظِ الكنزِ المدفون تحته لوقته المناسب، وهذا هو لُطفُ اللهِ الخفِي)[114] .

كم للهِ من لُطفٍ خَفِيٍ *** يَدِقُّ خَفَاهُ عن فَهْمِ الذَّكِي

[114] الشيخ عبد الله محمد الطوالة : إنك لن تستطيع معي صبرا ، رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/140696/ :